

النادي الشبابي

فضل الخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم

وبحث في تمحيص أحداث الفتنة وتبرئة الصحابة عامة

تأليف

الشيخ محمد علي مشعل

أستاذ بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة سابقاً

اعتنى به

الدكتور عبد الباري بن محمد علي مشعل

فضل الخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم

وبحث في تمحيص أحداث الفتنة وتبرئة الصحابة عامة

تأليف

الشيخ محمد علي مشعل

أستاذ بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة سابقاً

اعتنى به

الدكتور عبد الباري بن محمد علي مشعل



الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

للتواصل مع المؤلف
الكويت ص ب ٩٥٧ السرة - الرمزي البريدي: ٤٥٧١٠
هاتف نقال: ٩٦٤٨١٧٦ / ٠٠٩٦٥ فاكس: ٠٠٩٦٥/٥٣٥١٥٨٧
website : www. mashal.ws
Email : mashal@mashal.ws
Email : bari6667@gmail.com
المراسلات باسم: **الدكتور عبد الباري مشعل**



الكويت - شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجارية
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ فاكس ٤٨٣٨٤٩٥
الجهراء: ص. ب: ٢٨٨٨ - الرمز البريدي: ١٠٣٠
Website: www. gheras. com
E-Mail: info@ gheras.com


شباب
النادي الشبابي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

التعريف بهذا الكتاب

يهدف هذا الكتاب إلى بيان الحق فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من فتن وأحداث عظيمة قضى فيها كثير منهم ومن آل بيت النبي ﷺ.

ولأن كثيراً من هذه الفتن والأحداث رواها المغرضون مثيرو الفتنة أنفسهم ثم رواها عنهم الثقات؛ فقد بات من الصعب المواءمة بين ما ورد في الروايات الكثيرة المدسوسة من قدح في الصحابة وفي سيرتهم رضي الله عنهم أجمعين وبين الصورة البيضاء الناصعة التي رسخها القرآن الكريم تجاههم. قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

ويصبح هذا الهدف أكثر إلحاحاً عندما يطلق البعض للألسنة العنان في تقويم تلك الأحداث العظيمة التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم غافلًا عن ثوابت الأمة تجاه خير القرون والمجتمع القدوة كما رسخها القرآن قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وأكد عليها المصطفى عليه الصلاة والسلام: «لا تسبُّوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفَه» [البخاري٣٤٧٠].

وقد جعل الوالد المؤلف حفظه الله هذا الهدف من أولوياته وخصص جانباً من نشاطه العلمي والدعوي لتجلية الحق في هذا الموضوع إلى أن وضع هذا الكتاب المختصر، الذي كان موضوع عدد من الحلقات العلمية التي أقامها الوالد في المدينة وجدة ومكة ابتداء من عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، وكان للوالد دور مهم في تصحيح كتب التاريخ الإسلامي في المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فيما يتعلق بهذه الأحداث أثناء عمله أستاذاً في جامعة الإمام في المدينة المنورة.

وقد أودع الوالد المؤلف في هذا الكتاب جوانب من فضل الصحابة والخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، واعتنى ببيان كيفية استخلاف كل منهم، وتناول بالتمحيص والتحليل خيوط الفتنة التي وقعت في عهد الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ابتداء من مقتل ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومروراً بفتنة الجمل بين السيدة عائشة وعلي رضي الله عنهما، ومعركة صِفِّين بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنهم في عام الجماعة، واستخلاف معاوية لابنه يزيد رحمه الله، وانتهاء بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما واختتم الكتاب بتحليل يجمع بين خيوط المؤامرة السبئية التي كانت فاعلة في جميع تلك الأحداث.

وقد أراد الوالد من هذا الكتاب أن يكون دليلًا للدعاة والناشئة من شباب وشابات الأمة يغرس في نفوسهم حب الصحابة وفضلهم، ويأخذ بأيديهم إلى جادة الصواب في الأحداث التي جرت بينهم، وكان حريصاً على نشره وتوزيعه وتبليغه للأمة لما يراه - حفظه الله - من زلات وهنات يرددها البعض ممن خفيت عنهم الحقيقة ووقعوا فريسة للروايات المدسوسة في التاريخ الإسلامي.

وقد تشرفت بالعناية به على النحو الذي هو عليه منشوراً تحقيقاً لرغبة الوالد. وأرى أن هذا الكتاب بمستوى كتاب منهجي لمادة تاريخ الخلفاء الراشدين في المعاهد والمدارس والجامعات والجمعيات العلمية.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

الدكتور

عبد الباري محمد علي مشعل

١٥/١/١٤٢٨هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن والاه وبعد.

فقد قال ﷺ : «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». وفي رواية: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»(١).

وروى الترمذي: «إن الله اختار أصحابي على العالمين بعد النبيين والمرسلين».

فصحابة النبي ﷺ ورضوان الله عنهم خير الناس بعد الأنبياء والمرسلين، وواجبنا نحن المسلمين أن نحبهم ونحترمهم ونحسن الظن بهم.

فهم الذين نقلوا لنا القرآن العظيم والسنة النبوية المطهرة، ومنهم الذين هاجروا وجاهدوا،ومنهم الذين آووا ونصروا، وهم الذين مدحهم القرآن: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠].

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨، ٩].

(١) رواه البخاري (٢٥٠٩، ٣٤٥٠)

وواجبنا أن ندعو لهم مع الاحترام والتقدير وحسن الظن وصدق المحبة حتى نكون من الذين قال الله فيهم ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[١].

فصحابة رسول الله ﷺ كلهم عدول ثقات مؤمنون صالحون، وأهل السنة يعتبرون كل خبر فيه ذم الصحابة من أكاذيب اليهود ودسائسهم ودسائس المجوس والمنافقين.

مع أنا نقول: ليسوا معصومين، ولكنهم محفوظون فهم أبعد الناس عن الإثم ولهم من الجهاد والبذل والتضحية ما يدفع كل عاقل إلى تقديرهم.

وهم قد يخطئون في الاجتهاد بنية حسنة لمصلحة الأمة ودينها فيكون للمصيب منهم أجران وللمخطئ أجر واحد.

وهم كانوا غرة في جبين الزمان، ونوراً أضاء سطور التاريخ.

وما وقع من الفتن والحروب وقتل الخلفاء عمر وعثمان وعلي وقتل طلحة والزبير والحسين، إنما كان بتخطيط أعداء الإسلام الحاقدين عليه من اليهود والمجوس والمنافقين، فهم قتلوا شهداء، وما تحاربوا إلا عن اجتهاد، وكل أعمالهم أرادوا بها وجه الله فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٠).

وسأتحدث عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ ، وعن معاوية ﷺ باختصار، محللًا بعض المواقف مبتغياً وجه الله تعالى في إظهار الحق الذي قد يخفى على البعض، والله أسأل أن يسددني ويوفقني لما فيه رضاه.

محمد علي مشعل

الفصل الأول

الخليفة الراشدي الأول

أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه

الخليفة الراشدي الأول
أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه

نسبه ومكانته:

أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة التميمي رضي الله عنه : وأبو قحافة اسمه عثمان وهو صحابي.

فهو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة يجتمع مع النبي ﷺ في مرة بن كعب.

وأمه سلمى أم الخير بنت صخر بن مالك بن عامر أسلمت وهاجرت، وهي صحابية.

أول من أسلم من الرجال، قال ﷺ : «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة؛ غير أبي بكر فإنه لم يتلعثم» ذكره ابن كثير في تفسيره.

ولقب بالصديق لسبقه إلى تصديق النبي ﷺ ، ولأنه صدق النبي ﷺ ليلة الإسراء كما كان دائم التصديق له في جميع أقواله وأفعاله.

روى الطبراني من حديث علي رضي الله عنه «أنه كان يحلف أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق»(١).

وعرف بالعتيق لحسنه وجمال وجهه في الجاهلية، وعرف في الإسلام بالعتيق؛ لأن الرسول ﷺ بشره بالعتق من النار، جاء من حديث عائشة عند الترمذي، وعن ابن الزبير عند البزار، وصححه ابن حبان، وزاد فيه: وكان

(١) رجاله ثقات: ابن حجر في فتح الباري ج٧ .

اسمه قبل ذلك عبد الله بن عثمان.

ولد بعد عامين من عام الفيل على وجه التقريب.

وأفضل الصحابة بعد النبي ﷺ: الخلفاء الراشدون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة رضوان الله عنهم أجمعين.

وقد روى البخاري (٣٤٥٥) عن ابن عمر ﵄ قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ﵃. زاد الطبراني: فيسمع رسول الله ﷺ ذلك فلا ينكره.

وفي أبي داود عن ابن عمر أيضاً: «كنا نقول ورسول الله يسمع: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي فلم ينهنا».

وقال أبو منصور من أكابر أئمة الشافعية: أجمع أهل السنة والجماعة على أن أفضل الصحابة أبو بكر فعمر فعثمان فعلي، فبقية العشرة المبشرة بالجنة، فأهل بدر، فباقي أهل أحد، فباقي أهل بيعة الرضوان، فباقي الصحابة ﵃، والظاهر أنه لو لم يكن لهم دليل على ذلك لما حكموا به.

كان أقرب إلى رسول الله ﷺ في أخلاقه وصفاته، واشتهر بالخلق الكريم منذ نعومة أظفاره، وكان منذ نشأته يحتقر الأصنام فقد روي عنه أنه قال: «لما ناهزت الحلم (البلوغ) أخذني أبي (أبو قحافة) بيدي، فانطلق بي إلى مكان توجد فيه الأصنام فقال: يا بني، هذه آلهتك الشمُّ العوالي، وخلاني عندها وذهب، فدنوت من الصنم، وقلت: إني جائع فأطعمني، فلم يجبني، فقلت: إني عار فاكسني، فلم يجبني، فألقيت عليه صخرة فخر على وجهه». وكان يستخف بعقول من يقدسونها ويعبدونها، وهذا دليل على عقله ورُوِّيَتِه ﵁.

كما أنه لم يشرب خمراً قط، وقد سئل: لم كان يتجنبها في الجاهلية؟ فقال: كنت أصون عرضي، وأحفظ مروءتي فإن من شرب الخمر كان مضيعاً في عقله ومروءته.

وكان ﵁ أليفاً ودوداً حسن المعاشرة، وكان مطبوعاً على التواضع ولين الجانب، فلم يتعال على أحد قط في جاهليته ولا في إسلامه، فإذا مدحه مادح زاده ذلك تواضعاً، وقال: اللهم أنت أعلم مني بنفسي.

جهاده في حياة الرسول ﷺ :

أوذي من قبل المشركين، ولقي ألواناً قاسية من التعذيب، فما وهن لما أصابه في سبيل الله، وما استكان منها:

لما انتصر لرسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله فضربه عتبة ضرباً شديداً حتى تورم وجهه وخفيت معالم وجهه وأغمي عليه، وحمل إلى البيت ولا يُظَنُّ إلا أنه مات فلما أفاق قال: أخبروني ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فلاموه وعنفوه وأرادوا أن يطعموه فأقسم لا يذوقن طعاماً ولا شراباً حتى يرى رسول الله ﷺ وخرج يتكئ حتى دخل على رسول الله ﷺ فرق له الرسول ﷺ رقة شديدة وانكب عليه يقبله فطلب أبو بكر من الرسول ﷺ أن يدعو أمه إلى الإسلام حتى يستنقذها الله به من النار.

وكان أبو بكر ثاني اثنين في الإسلام، وثاني اثنين إذ هما في الغار (غار ثور) وثاني اثنين في العريش يوم بدر، وثاني اثنين في كل معركة بين رسول الله ﷺ والمشركين.

روى البخاري (٣٤٥٢) من حديث البراء «قال أبو بكر: ثم قلت: قد آن الرحيل يا رسول الله. قال: بلى. فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد

منهم غير سراقة بن مالك بن جُعْشُم على فرس له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله. فقال: لا تحزن إن الله معنا».

وعن أبي بكر ﷺ قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما[١].

وقال ﷺ: «إن من أَمَنِّ الناس عَليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته. لا يبقين في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر»[٢].

«أتت امرأةٌ النبيَّ ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك - كأنها تقول الموت - قال ﷺ: إن لم تجديني فأتِ أبا بكر»[٣].

أخرج الشيخان عن عمر أنه قال حين طعن: «إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني أبا بكر، وإن أترككم فقد ترككم من هو خير مني»[٤] يعني رسول الله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٧-٢٠].

جاء في تفسير ابن كثير: ذكر المفسرون أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ، حتى إن بعضهم حكى الإجماع على ذلك.

أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما نفعني مال قط ما

---

(١) رواه البخاري (٣٤٥٣).
(٢) رواه البخاري (٤٥٤).
(٣) رواه البخاري (٣٤٥٤).
(٤) رواه البخاري (٦٧٩٢)، ومسلم (١٨٢٣).

نفعني مال أبي بكر فبكى أبو بكر وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله.

قال ابن كثير وروي أيضاً عن علي وابن عباس وأنس وجابر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم مرفوعاً، وأخرجه الخطيب عن سعيد بن المسيب مرسلًا وزاد: «وكان رسول الله ﷺ يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه».

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر أعتق سبعة كلهم يُعَذَّبُ في الله.

وأخرج أبو داود والترمذي عن عمر بن الخطاب قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك مالًا عندي قلت: اليوم أسبق أبا بكر إنْ سبقته يوماً[(١)] فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: «يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله. فقلت: لا أسبقه في شيء أبداً. قال الترمذي: حسن صحيح.

علمه:

قال النووي في تهذيبه: استدل أصحابنا على عظيم علمه بقوله: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه»[(٢)].

واستدل أبو إسحاق بهذا وغيره على أن أبا بكر أعلم الصحابة.

وقال ابن كثير: كان الصديق رضي الله عنه أقرأ الصحابة أي أعلمهم بالقرآن لأنه عليه الصلاة والسلام قدمه إماماً للصلاة بالصحابة رضي الله عنهم مع قوله: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله»[(٣)].

---

(١) إنْ: نافية بمعنى: ما سبقته يوماً.
(٢) أخرجه البخاري (٦٨٥٥) ومسلم (٣٢).
(٣) رواه مسلم (٦٧٣) والترمذي وأبو داود وابن ماجه والنسائي.

وأخرج الترمذي عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ : «لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره».

كان مع ذلك أعلمهم بالسنة[١].

وكان الصديق أعلم الناس بأنساب العرب لا سيما قريش[٢].

ومن الدلائل على أنه أعلم الصحابة حديث صلح الحديبية حيث سأل عمر رسول الله ﷺ عن ذلك الصلح فأجابه النبي ﷺ ثم ذهب إلى أبي بكر فسأله عما سأل رسول الله ﷺ فأجابه كما أجابه النبي ﷺ سواء بسواء[٣].

قال النووي في تهذيبه: الصديق أحد الصحابة الذين حفظوا القرآن كله[٤].

أخرج مسلم (٢٣٨٧) عن عائشة ﵂ قالت: قال لي رسول الله ﷺ : «ادع لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر».

وأخرج الشيخان[٥] عن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: مرض النبي ﷺ فاشتد مرضه، فقال: مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس، قالت عائشة ﵂ يا رسول الله، إنه رجل رقيق القلب، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس. فقال: مري أبا بكر فليصل بالناس. فعادت فقال: مري أبا بكر فليصل بالناس. فإنكن صواحبُ يوسف. فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة النبي ﷺ هذا الحديث متواتر.

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ٥٥ .
(٢) نفس المرجع السابق، ص ٥٦.
(٣) أخرجه مسلم (١٧٨٥).
(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ٥٨ .
(٥) البخاري (٦٤٦)، ومسلم (٤٢٠).

وورد أيضاً من حديث عائشة وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وابن زمعة وأبي سعيد وعلي وحفصة وقد سيقت طرقهم في الأحاديث المتواترة.

وفي حديث ابن زمعة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمرهم بالصلاة، وكان أبو بكر غائباً فتقدم عمر فصلى فقال النبي ﷺ : «فأين أبو بكر؟ يأبى الله والمسلمون ذلك»[١].

قال العلماء: في هذا الحديث أوضح دلالة على أن الصديق أفضل الصحابة على الإطلاق وأحقهم بالخلافة وأولاهم بالإمامة[٢].

وفاة رسول الله ﷺ وخلافة أبي بكر رضي الله عنه :

وعن عائشة رضي الله عنها كما في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنُح[٣] - قال إسماعيل بالعالية - فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله فقال: بأبي أنت وأمي، طبت حياً وميتاً، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً. ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، أيها الناس، من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. فخرج الناس يتلونها في سكك المدينة

(١) المستدرك على الصحيحين (٦٧٠٣/ ٢٠٣١)، وقال صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.
(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص٧٥ .
(٣) مكان بعوالي المدينة.

كأنها لم تنزل إلا ذلك اليوم[١].

قال: فنشج الناس يبكون، قال عمر: فوالله ما إن سمعت أبا بكر تلاها فهويت إلى الأرض ما تحملني قدماي، وعلمت أن رسول الله قد مات.

قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة فقالوا: منا أمير ومنكم أمير فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح.

فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاماً قد أعجبني، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس «والله ما ترك من كلمة أعجبتني إلا قال في بداهته مثلها أو أفضل منها» حتى سكت.

فذكر فضل الأنصار وأشار إلى ما قاله سعد بن عبادة رضي الله عنه : أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام.

قال أبو بكر رضي الله عنه : أما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، ولم أكره شيئاً مما قاله غيرها، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي، لا يُقربني ذلك إلى إثم، أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر. قال قائل من الأنصار: أنا جُذَيْلُها [٢] المُحَكَّك،

---

(١) رواه البخاري بنحوه (٤١٨٧).

(٢) جُذَيْلُها: هو تصغير جِذْل، وهو العود الذي ينصب للإبل الجربى لتحتك به، وهو تصغير تعظيم: أي أنا ممن يستشفى برأيه كما تستشفى الإبل الجربى بالاحتكاك بهذا العود (النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف الجيم، باب الجيم مع الذال ١/ ٢٥١).

وعذيقُها المُرَجَّب[١]. منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، قال: وكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى تخوفت الاختلاف فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته ثم بايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار.

قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري عن أنس قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة، وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر، فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس، إني قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهداً عهد إلي رسول الله ﷺ، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا، يقول: يكون آخرنا، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى اللهُ رسولَه ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له.

وإن الله قد جمع أمركم على خيركم: صاحب رسول الله ﷺ، ثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة[٢]. فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال: أما بعد، فيا أيها الناس إني قد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أعيد عليه حقه -إن شاء الله- والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله.

لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في

---

(١) الترجيب: إرفاد النخلة من جانب ليمنعها من السقوط: أي أنا لي عشيرة تعضدني، وتمنعني وترفدني. (لسان العرب: ١/ ٤١٢).
(٢) رواه البخاري (٦٨٤١).

قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله. اهـ.

وقد نقل الدكتور محمد أبو شهبة خطبة أبي بكر يوم السقيفة:

يا أيها الناس، نحن المهاجرين أول الناس إسلاماً، وأكرمهم أحساباً، وأوسطهم داراً، وأحسنهم وجوهاً، وأكثرهم ولادة في العرب، وأمسهم رحماً برسول الله ﷺ أسلمنا قبلكم، وقُدِّمْنا في القرآن عليكم، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠] فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار، إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفيء، وأنصارنا على العدو، وأما ما ذكر فيكم من خير، فأنتم له أهل، وأما العرب فلن تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش فمنا الأمراء ومنكم الوزراء، إن رسول الله ﷺ قال: «الأئمة من قريش»(١). «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدين»(٢) «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان»(٣).

وأخرج ابن سعد والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال: قبض رسول الله (واجتمع الأنصار في دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر فقام خطباء الأنصار فجعل الرجل منهم يقول: يا معشر المهاجرين، إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلًا منكم قرن معه رجلًا منا فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان منا ومنكم فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك فقام زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وخليفته من

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، وأحمد في مسنده.
(٢) رواه البخاري، (٦٧٢٠).
(٣) رواه البخاري، (٦٧٢١).

المهاجرين ونحن كنا أنصار رسول الله ﷺ فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره، ثم أخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه فقال: هذا صاحبكم فبايعه عمر ثم بايعه المهاجرون والأنصار.

وصعد أبو بكر المنبر - أي في اليوم الثاني حيث إنه لم يكتف بما حصل في السقيفة من البيعة الخاصة فلابد من البيعة العامة - فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير فدعا به فجاءه فقال: قلت ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله. فقام فبايعه.

ثم نظر في وجوه القوم فلم يجد علياً فدعا به فجاءه فقال: قلت ابن عم رسول الله ﷺ وخَتَنَه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه(١).

وهذا هو الحق في بيعة علي للصديق وأنه بايع في اليوم الثاني، وأما ما يقال إن بيعته كانت بعد ستة أشهر فإنما كان تجديداً للبيعة وتوثيقاً لها(٢).

وأخرج موسى بن عقبة في مغازيه والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف قال: خطب أبو بكر فقال: والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط، ولا كنت راغباً فيها، ولا سألتها الله في سر ولا علانية، ولكني أشفقت من الفتنة، وما لي في الإمارة من راحة، لقد قلدت أمراً عظيماً، ما لي به من طاقة، ولا يد إلا بتقوية الله، فقال علي والزبير: ما غضبنا إلا لأنا أخرنا عن المشورة، وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف شرفه وخيره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي(٣).

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٨١ .
(٢) البداية والنهاية ج٧، ص٢٥ .
(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٨٢ .

بويع أبو بكر يوم قبض رسول الله ﷺ يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ من الهجرة، وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عمر قال: لم يجلس أبو بكر الصديق في مجلس رسول الله ﷺ على المنبر حتى لقي الله، ولم يجلس عمر في مجلس أبي بكر حتى لقي الله، ولم يجلس عثمان في مجلس عمر حتى لقي الله.

قال أنس رضي الله عنه: لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء. قال: وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا(١).

وقد نقل ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥) عن عائشة قالت:

«فلما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة واشرأب النفاق، والله لقد نزل بي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضَها(٢)، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم مِعْزَىً مطيرة في حُشٍّ في ليلة مطيرة بأرض مَسْبَعَة(٣)، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بِخَطَلِها وغَنَانِها وفَصْلِها». اهـ.

قال أبو بكر بن العربي: فتداركَ اللهُ الإسلامَ والأنامَ وانجابت الغمةُ انجيابَ الغمام، ونفذ وعد الله باستئثار رسول الله ﷺ وإقامة دينه على التمام - وإن كان قد أصاب ما أصاب من الرزية الإسلام - بأبي بكر الصديق رضي الله عنه(٤).

---

(١) رواه أحمد والترمذي وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب. قال ابن كثير: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٢) لهاضها: لكسرها.
(٣) مَسْبَعَة: كثيرة السباع.
(٤) الجار والمجرور (بأبي بكر الصديق رضي الله عنه) متعلق بقوله: فتدارك والمعطوفات عليه: وانجابت ونفذ.

وقد جاء في كتاب: «العواصم من القواصم» ما يأتي:

وقال أبو بكر: «أوصيكم بالأنصار خيراً: أن تقبلوا من محسنهم وتتجاوزوا عن مسيئهم».

في كتاب مناقب الأنصار من صحيح البخاري (ك٦٣ ب١١) من حديث هشام بن زيد بن أنس قال: سمعت أنس بن مالك يقول: مر أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار يبكون والظاهر أن ذلك كان في مرض النبي ﷺ الذي مات به. فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا. فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك. قال: فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد قال: فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أوصيكم بالأنصار؛ فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من مُحسِنهم وتجاوزوا عن مسيئهم».

وبعده في صحيح البخاري حديث لعكرمة عن ابن عباس، وحديث لقتادة عن أنس بمعنى ذلك.

وقريب من ذلك في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري، وفي سنن الترمذي عن ابن عباس.

ومن أقوال أبي بكر رضي الله عنه (يوم السقيفة): إن الله سمانا الصادقين وسماكم المفلحين. إشارة إلى الآية ٨-٩ من سورة الحشر ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨، ٩].

وقد أمركم أن تكونوا معنا حيثما كنا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، إلى غير ذلك من الأقوال المصيبة والأدلة القوية، فتذكرت الأنصار ذلك وانقادت إليه، وبايعوا أبا بكر الصديق رضي الله عنه.

ونقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥: ٢٤٧) من حديث الإمام أحمد عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري (ابن أخت أمير المؤمنين عثمان) خطبة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة ومنها قوله: لقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال: «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً سلكت وادي الأنصار» ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: «قريش ولاة هذا الأمر؛ فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم» فقال له سعد: «صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء».

ما وقع في أيامه من الأمور الكبار:

١- تنفيذ جيش أسامة.
٢- قتال أهل الردة ومانعي الزكاة.
٣- جمع القرآن.
٤- توجيه الجيوش لحرب فارس والروم.

أولًا: تنفيذ جيش أسامة:

كان الرسول ﷺ قد أمر بإنفاذ جيش أسامة قبل وفاته، وخرج أسامة وجيشه معه حتى نزلوا الجرف من المدينة على فرسخ فضرب به عسكره وتقامَّ إليه الناس، وثقل رسول اللَّه ﷺ فأقام أسامة والناس لينظروا ما الله قاضٍ في رسول الله ﷺ.

وجاء في (العواصم والقواصم) في هذا الشأن ما يأتي:

وقال أبو بكر لأسامة: انفذ لأمر رسول الله ﷺ فقال عمر: كيف ترسل هذا الجيش لعرب قد اضطربت عليك؟ فقال: لو لعبت الكلاب بخلاخيل نساء المدينة ما رددت جيشاً أنفذه رسول الله ﷺ .

نقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٦ : ٣٠٥) عن الحافظ أبي بكر البيهقي حديث محمد بن يوسف الفريابي الحافظ (قال البخاري: كان أفضل أهل زمانه). عن عياد بن كثير الرملي أحد شيوخه (قال ابن المديني: كان ثقة لا بأس به) عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (أحد التابعين، توفي بالإسكندرية) عن أبي هريرة قال: «والله الذي لا إله إلا هو، لولا أبو بكر استخلف ما عبد الله». ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، فقيل له: مه يا أبا هريرة. فقال: إن رسول الله ﷺ وجه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام، فلما نزل بذي خشب قبض رسول الله ﷺ وارتدت العرب حول المدينة فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا بكر، رد هؤلاء، توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة؟ فقال: والذي لا إله غيره، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشاً وجهه رسول الله، ولا حللت لواء عقده رسول الله. فوجه أسامة فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلاقوا الروم فلقوا الروم، فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام.

ثانياً: قتال أهل الردة ومانعي الزكاة:

حركة الردة:

جمعت حركة الردة بين أمرين: الخروج عن الدين، والانضمام لحركة

المتنبئين، وقد جمعتهما العداوة للإسلام والقضاء عليه.

وحركة المتنبئين قد ظهرت قبيل وفاة الرسول ﷺ بدافع من العصبية القبلية، فظهر مسيلمة الكذاب في بني حنيفة وادعى النبوة واتبعه عدد كبير منهم.

وظهرت «سجاح» في بني تميم وادعت النبوة واتبعها قومها من تميم وهم يعلمون كذبها.

وظهر «الأسود العنسي» في اليمن.

وقد أشاع هؤلاء المتنبئون الفساد في أرجاء الجزيرة العربية، واتبعهم كثير من الأعراب الذين دخلوا الإسلام خضوعاً للقوة أو تبعاً للزعماء، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم.

حركة منع الزكاة:

حركة منع الزكاة خروج عن حكم من أحكام الدين إن لم يردع سوف يجر إلى ترك الصلاة، ثم يرتد عن الدين كله.

وقد كان رأي أبي بكر محاربة الجميع دون تمييز وكان هذا الرأي في منتهى الحزم وفي منتهى الخير والحكمة فعقد إحدى عشرة راية، وسيرها رضي الله عنه.

وكتب لهم كتاباً وأرسل بهذا الكتاب رسلًا يتقدمون الجيوش ليقرءوه على الناس حتى يفتح لهم باب الرجوع إلى الحق ويتيح لهم الفرصة لكي يتدبروا أمرهم، وحتى يبرئ ذمته أمام الله قبل أن تقع الحرب وتراق الدماء.

وقد جاء في الكتاب: «وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه جهالة بأمر الله، واستجابة للشيطان، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وإني قد بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان وأمرته أن لا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحاً قبل منه، وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك». إلى أن قال: «ولا يقبل من أحد إلا الإسلام فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله»[(١)].

وقد تقدمت الرسل بهذا الكتاب أمام الجيوش، ونفذت الجيوش كل ما جاء به في حزم ودقة ووقعت اصطدامات هائلة بين جيوش المسلمين وبين جيوش المترددين من المرتدين وأتباع المتنبئين وتجلى إيمان المؤمنين في أروع صورة.

وقبل مرور عام قطع دابر الفتنة وعاد المرتدون إلى الدين وعادت للإسلام قوته وازدهاره في أنحاء الجزيرة، وعلت كلمة التوحيد وذلك بفضل الله وبفضل ما وهب الله للصديق من إيمان وحزم فنصر الله به الإسلام.

بدأت حروب الردة سنة ١١ هجرية وانتهت ١٢ هجرية.

وقد أورد صاحب العواصم والقواصم في قتال مانعي الزكاة ما يأتي:

وقال له عمر وغيره: إذا منعك العرب الزكاة فاصبر عليهم. فقال: والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، والله لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة[(٢)].

لما مضى جيش أسامة في طريقه إلى شرق الأردن جعلت وفود القبائل تقدم المدينة يقرون بالصلاة ويمتنعون عن أداء الزكاة.

---

(١) الطبري ج٣، ص٢٤٧

(٢) قريبٌ منه في البخاري ومسلم كما سبق في ص ١٩ .

قال ابن كثير (٦ : ٣١١) ومنهم من احتج بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، قالوا: فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا. وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم ثم هم بعد ذلك يزكون، فامتنع الصديق من ذلك وأباه.

وقد روى الجماعة في كتبهم سوى ابن ماجه عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر: علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها». فقال أبو بكر: والله لو منعوني عناقاً -وفي رواية عقالاً- كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها؛ إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق(١).

وفي البداية والنهاية (٦ : ٣١٢): قال القاسم بن محمد -ابن أبي بكر الصديق- وهو أحد الفقهاء السبعة- اجتمعت أسد وغطفان وطيئ على طليحة الأسدي، وبعثوا وفوداً إلى المدينة فنزلوا على وجوه الناس، فأنزلوهم إلى العباس، فحملوهم إلى أبي بكر على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة، فعزم الله لأبي بكر على الحق، وقال: لو منعوني عقالًا لجاهدتهم.

قيل لأبي بكر: ومع من تقاتلهم؟ قال: وحدي، حتى تنفرد سالفتي (عنقي).

---

(١) روي بألفاظ متقاربة في مسند أحمد، وسنن النسائي والمستدرك على الصحيحين وأصله في البخاري ومسلم كما مر.

ثالثاً: جمع القرآن:

وكان من أجل أعمال أبي بكر رضي الله عنه وأعظمها أثراً في تاريخ الإسلام جمعه للقرآن الكريم، وقد عهد أبو بكر بهذا العمل إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه لأنه كان موضع ثقته، ولأنه حينئذ خير من ينهض للقيام بهذا الواجب وحمل تلك الأمانة.

وفي ذلك يقول زيد رضي الله عنه كما جاء في صحيح البخاري: «أرسل إلي أبو بكر بعد موقعة اليمامة وكان عنده عمر بن الخطاب، فقال لي: «إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر أي كثر بالقراء في موقعة اليمامة، وأخشى أن يزداد القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن، إلا أن تجمعوه» ثم يقول أبو بكر:

فشرح الله صدري لذلك (أي لجمع القرآن) ورأيت الذي رأى عمر...».

ثم قال أبو بكر لزيد بن ثابت: «إنك رجل عاقل ولا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه».

ويقول زيد بن ثابت: فوالله، لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن ... ولكن أراد الله الخير لزيد فشرح صدره لهذا العمل الجليل ... فقام يتتبع آيات القرآن ويجمعها من الرقاع والعظام وصدور الرجال، ولم يجمع إلا ما كتب بين يدي النبي ﷺ وشهد شاهدان على ذلك. وتمت كتابة المصحف في صحف جمعت كلها ووضعت لدى أبي بكر رضي الله عنه ، ثم انتقلت من بعده إلى عمر، ثم انتقلت من بعده إلى حفصة بنت عمر أم المؤمنين إلى أن تمت كتابة المصحف في عدة

نسخ أيام الخليفة عثمان بن عفان جامع القرآن رضي الله عنه ، وكل ذلك بمنتهى الدقة والتوثيق، والحمد لله.

رابعاً: توجيه الجيوش لحرب فارس والروم:

قدَّم الأمراء على الأجناد والعمال في البلاد مختاراً لهم، مرتئياً فيهم، فكان ذلك من أَسَدِّ عمله، وأفضل ما قدمه للإسلام.

وفي طليعة هؤلاء القواد أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري وعمرو بن العاص السهمي، وخالد بن الوليد المخزومي، وخالد بن سعيد ابن العاص الأموي، ويزيد بن أبي سفيان، وعكرمة بن أبي جهل، والمهاجر ابن أبي أمية شقيق أم المؤمنين أم سلمة، وشرحبيل بن حسنة، ومعاوية بن أبي سفيان، وسهيل بن عمرو العامري خطيب قريش، والقعقاع بن عمرو التميمي، وعرفجة بن هرثمة البارقي، والعلاء بن الحضرمي حليف بني أمية، والمثنى بن حارثة الشيباني، وحذيفة بن محصن الغطفاني، وفي طليعة ولاته: عتاب بن أسيد الأموي، وعثمان بن العاص الثقفي، وزياد بن لبيد الأنصاري، وأبو موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل، ويعلى بن منبه، وجرير ابن عبد الله البجلي، وعياض بن غنم، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعبد الله بن ثور أحد بني غوث، وسويد بن مقرن المزني.

وكانت الدولتان العظيمتان في العالم في زمن رسول الله ﷺ هما دولة الفرس ودولة الروم:

وقد وجه أبو بكر رضي الله عنه لقتال الفرس القائد المؤمن الفذ خالد بن الوليد رضي الله عنه وحدثت معارك انتصر فيها المسلمون بقيادة خالد واستولوا على الحيرة، وعلى كثير من مدن العراق، وكان يوجه كتابه قبل المعركة: أسلموا

تسلموا، وإلا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر (أو كما تحبون الحياة).

ووجه أبو بكر ﷺ لقتال الروم أمراءَ الأجناد: أبا عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، وأخوه معاوية، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، ﷺ.

فساروا إلى بلاد الشام، وكان عددهم ستة وثلاثين ألفاً على بعض الروايات، وقد قابلهم الروم بجيش عدته مائتان وأربعون ألفاً فطلبوا المدد من أبي بكر ﷺ فأمدهم بخالد بن الوليد ﷺ فاتجه خالد من العراق إلى الشام وعبر بادية السماوة بسرعة عجيبة وكان معه أربعة آلاف فصار عدد المسلمين أربعين ألفاً.

موقعة اليرموك:

كان قادة المسلمين الأربعة يقاتلون متساندين متعاونين لا تجمعهم قيادة واحدة، فلما وصل خالد جمعهم على قيادة واحدة، وتولى هو القيادة.

وقسم خالد الجيش إلى قلب وميمنة وميسرة مقابل قلب الروم وميمنتهم وميسرتهم وقسم الجيش إلى ستة وثلاثين كردوساً، وجعل على كل كردوس رجلًا من شجعان المسلمين، وكان على القلب أبو عبيدة وعلى الميمنة عمرو وشرحبيل وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان (وأخوه) وكانت المعركة شمال نهر اليرموك، وبالتحديد بين وادي العلان (من روافد اليرموك) وبين رافده وادي العلق.

احتشد المسلمون من جنوب بلدة نوى إلى شرق سحم الجولان، جاعلين نهر اليرموك عن يسارهم في حين تكثر من خلفهم وعن يمينهم الصخور

البركانية، وهذه تجعل محاولة الروم للالتفاف حول معسكر المسلمين عديمة الجدوى، بينما كانت الجهة الجنوبية والغربية مفتوحة للمسلمين للتراجع أو لإيصال الإمدادات، ونهر اليرموك يحول بين الروم وبين الالتفاف على معسكر المسلمين، وهذا الاختيار موفق، ويروى أن الذي أشار به أبو سفيان رضي الله عنه .

بينما الروم حصروا أنفسهم: نهر اليرموك عن يمينهم، ووادي الرقاد والواقوصة ونهر الأردن من خلفهم، وسلسلة تلال وجبال عن شمالهم فليس لهم منفذ.

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه حصرت والله الروم، وقلما جاء محصور بخير أبشروا أيها المسلمون.

سير المعركة:

قال رجل من نصارى العرب محاولًا تخذيل خالد بن الوليد رضي الله عنه : «ما أكثر الروم وأقل المسلمين» فقال خالد: «ويلك أتخوفني بالروم؟ إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر براء من توجيه (ألم في باطن حافر الفرس) وأنهم أضعفوا في العدد».

وحينما بدأت المعركة اشتدت هجمات الروم على ميمنة المسلمين وميسرتهم حتى انكشف القلب ولكن خاب فألهم فخالد وأبو عبيدة وعكرمة وسعيد بن زيد ومن معهم في القلب أعطوا من الشجاعة والثبات والصبر والاستبسال في القتال ابتغاء مرضاة الله.

ودوى صوت عكرمة رضي الله عنه : من يبايعني على الموت؟ فتسابقوا يبايعون وخلعوا الدروع وانقضوا على الروم فلم يعد للروم قدرة على الوقوف أمام

جيش الحق.

وأمر خالد بأن يفتح لهم منفذ للهرب فانهزم الفرسان وأطبق المسلمون على المشاة، فوقع منهم في نهر الواقوصة ما يقارب مائة وعشرين ألفاً، وانهزم البعض، وأسر البعض.

وبلغ عدد القتلى مائة وعشرين ألفاً من الروم ومن المسلمين ثلاثة آلاف.

وتوالت الانتصارات مما أدى إلى مغادرة هرقل امبراطور الدولة الرومانية النصرانية حمص ووقف شمالي حمص وقال (سوزي سورية) أي: سلام عليك سلاماً لا لقاء بعده.

وكانت معركة اليرموك سنة ١٣ من الهجرة.

وفاته:

في خلال معركة اليرموك توفي أبو بكر رضي الله عنه في جمادى الآخرة ١٣ هجرية ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشرة أيام وعمره ٦٣ سنة.

جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، فقد حفظ الله به الدين وأعز به الحق المبين.

قصة طلب فاطمة رضي الله عنها ميراثها من النبي صلى الله عليه وسلم:

في كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخاري ك٦٢ ب١٢- ج٤ ص(٢٠٩-٢١٠): حديث الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة أن فاطمة أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي صلى الله عليه وسلم فيما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم تطلب صدقة النبي صلى الله عليه وسلم التي بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا نورث؛ ما تركناه فهو صدقة، إنما يأكل

آل محمد من هذا المال -يعني مال الله- ليس لهم أن يزيدوا على المأكل». وإني والله لا أغير شيئاً من صدقات النبي ﷺ التي كانت عليها في عهد النبي ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله، فتشهد علي ثم قال: إنا عرفنا يا أبا بكر فضيلتك وذَكَرَ قرابتهم من رسول الله ﷺ وحقهم. فتكلم أبو بكر فقال: والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي. وأوسع منه في كتاب المغازي باب غزوة خيبر من صحيح البخاري.

وفي كتاب الوصايا من صحيح البخاري ك٥٥ ب٣٢ ج٣ ص(١٩٧) وكتاب فرض الخمس منه ك٥٧ ب٣ ج٤ ص(٤٥) حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقتسم ورثتي ديناراً ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢: ١٥٨) قول النبي ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة رواه عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب، وأزواج النبي ﷺ وأبو هريرة والرواية عن هؤلاء ثابتة في الصحاح والمسانيد وقال قبل ذلك (٢: ١٥٧): إن الله تعالى صان الأنبياء أن يورثوا دنيا، لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا وورثوها لورثتهم، ثم إن من ورثة النبي ﷺ أزواجه ومنهم عائشة بنت أبي بكر وقد حرمت نصيبها بهذا الحديث النبوي، ولو جرى أبو بكر مع ميله الفطري لأحب أن ترث ابنته.

وفي كتاب فرض الخمس من صحيح البخاري ك٥٧ ب١ ج٤ ص٤٢ حديث ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين أخبرت أن فاطمة ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم

لها ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث؛ ما تركنا صدقة» فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال: «لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ».

وفي الباب نفسه من صحيح البخاري ج٤ ص٤٢-٤٤ من حديث الإمام مالك بن أنس عن ابن شهاب، عن مالك بن أوس، عن الحدثان النصري أنه قال: بينا أنا جالس في أهلي حين متع [١] النهار، إذ رسول عمر بن الخطاب، فقال: أجب أمير المؤمنين، فانطلقت معه . . فبينا أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص يستأذنون؟ قال: نعم. فأذن لهم. . . ثم جلس يرفأ يسيراً ثم قال: هل لك في علي وعباس؟ قال: نعم. فأذن لهما، فدخلا فسلما فجلسا، فقال عباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله ﷺ من بني النضير فقال الرهط، عثمان وأصحابه: يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر. قال عمر: تَيْدَكم. أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورَث؛ ما تركنا صدقةٌ»[٢] يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قال الرهط: قد قال ذلك.

فأقبل عمر على علي وعباس فقال: أنشدكما الله، أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك. وبعد أن ذكر أنه ﷺ كان ينفق على

(١) متع النهار: أي بلغ غاية ارتفاعه، وهو قبل الزوال.
(٢) ما اسم موصول مبتدأ وتركنا صلته وصدقة خبر المبتدأ.

أهله سنتهم من هذا المال ثم يَجْعَل ما بقي مَجْعَلَ مالِ الله، واستشهد على ذلك فشهدوا، قال: ثم توفى الله نبيه ﷺ فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ فقبضها، فعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ، والله يعلم أنه فيها لصادق بار راشد، تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر، فكنت أنا وليَّ أبي بكر، فقبضتها سنتين من إمارتي، أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ، وما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم أني فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتماني تكلماني وكلمتكما واحدة وأمركما واحد.

جئتني يا عباس تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا -يريد علياً- يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة» فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت: إن شئتما دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ، وبما عمل فيها أبو بكر، وبما عملت فيها منذ وليتها فقلتما: ادفعها إلينا، فبذلك دفعتها إليكما. فأنشدكم بالله، هل دفعتها إليهما بذلك. قال الرهط: نعم. ثم أقبل علي وعباس فقال: أنشدكما بالله، هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا: نعم. قال: أفتلتمسان مني قضاء غير ذلك، فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، لا أقضي فيها قضاء غير ذلك، فإن عجزتما عنها فادفعاها إلي فإني أكفيكماها.

وأورد البخاري حديث مالك بن أوس هذا في كتاب المغازي من صحيحه وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣: ٢٣٠) إلى أن أبا بكر وعمر أعطيا من مال الله أضعاف هذا الميراث للذين كانوا سيرثونه قال: وإنما أخذ منهم قرية ليست كبيرة، لم يأخذ منهم مدينة ولا قرية عظيمة، ثم قال: (٣: ٢٣١) وقد تولى علي بعد ذلك، وصارت فدك وغيرها تحت

حكمه، ولم يعط لأولاد فاطمة ولا زوجات النبي ﷺ ولا ولد العباس شيئاً من ميراثه . . . إلخ.

استخلافه لعمر:

يذكر الرواه أن أبا بكر رضي الله عنه استشار أصحابه وذوي الرأي من المسلمين في أمر البيعة لعمر رضي الله عنه فكانوا يقولون خيراً.

أخرج الواقدي من طرق أن أبا بكر لما ثقل دعا عبد الرحمن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب؟ فقال: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني؟ فقال أبو بكر: وإن؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: هو والله أفضل من رأيك فيه.

ثم دعا عثمان بن عفان فقال: أخبرني عن عمر؟ فقال: أنت أخبرنا به. قال: عَلَى ذلك؟ فقال: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله. وشاور معهما سعيد بن زيد وأسيد بن الحضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار. فقال أسيد: (اللهم أَعْلَمُهُ الخَيْرَ بَعْدَك (يعني الفضل) يرضى للرضا، ويسخط للسخط، الذي يُسِرُّ خير من الذي يعلن، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه).

فدعا عثمان فقال: اكتب «باسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلًا فيها، حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب، إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا، وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بَدَّل فلكل امرئ ما اكتسب، والخير أردت ولا أعلم الغيب، ﴿وَسَيَعْلَمُ

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته» ثم أمر بالكتاب فختمه.

ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوماً فأعلنه للناس فبايع الناس عمر رضي الله عنه ورضوا به.

ثم دعا أبو بكر عمر خالياً، فأوصاه بما أوصاه، ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه متوجهاً إلى الله وقال: اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة، فعملت فيهم بما أنت أعلم به، واجتهدت لهم رأياً، فوليت عليهم خيرهم، وأقواهم عليهم، وأحرصهم على ما يرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر، فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك، أصلح اللهم ولاتهم، واجعلهم من خلفائك الراشدين، وأصلح له رعيته.

وأخرج ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أفرس الناس ثلاثة: أبو بكر حين استخلف عمر، وصاحبة موسى حين قالت: استأجره، والعزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته: أكرمي مثواه».

وأخرج ابن عساكر عن يسار بن حمزة قال:

لما ثقل أبو بكر أشرف على الناس من كوَّة فقال: أيها الناس، إني قد عهدت عهداً، أفترضون به؟ فقال الناس: رضينا يا خليفة رسول الله، فقام علي فقال: لا نرضى إلا أن يكون عمر قال: فإنه عمر.

ومما تقدم يتبين أن أبا بكر لم يعين عمر رضي الله عنه إلا بعد أن أخذ رأي كبار المسلمين فيه، وموافقتهم على اختياره.

ونستطيع أن نقول: أعطى أبو بكر الصديق والمسلمون القوس لباريها،

ووسد الأمر إلى أهله.

تسلم الفاروق الأمانة، وحمل الراية وسار في بناء دولة الإسلام، وقاد كتائب الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى.

* * *

الفصل الثاني

الخليفة الراشدي الثاني

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الخليفة الراشدي الثاني
عمر بن الخطاب رضي الله عنه

نسبه ومكانته:

أبو حفص الفاروق عمر بن الخطاب بن نفيل ويمتد نسبه إلى عدي بن كعب بن لؤي.

ولد في مكة قبل الهجرة بأربعين سنة، نشأ في بيت اشتهر بالسيادة والشرف، وتربى على الصدق والأمانة والجرأة في قول الحق، وإليه كانت السفارة في قريش قبل الإسلام.

هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وثاني الخلفاء الراشدين، وأحد أحباء النبي ﷺ المقربين، وأحد كبار علماء الصحابة وزهادهم ومجتهديهم.

إسلامه:

يأتي إسلامه رضي الله عنه في الوقت الذي كان فيه في أوج العداوة للإسلام والكيد له، فبينا عمر في طريقه للفتك برسول الله ﷺ ، عندما علم أنه في نفر من أصحابه في بيت عند الصفا، إذ لقيه نعيم بن عبد الله فقال: أين تريد يا عمر؟ قال: أريد محمداً هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب آلهتها فأقتله. فقال له نعيم: وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة إذا قتلت محمداً؟ فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبأت، وتركت دينك الذي كنت عليه. فقال: أفلا أدلك على ما هو أعجب من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أختك وختنك قد صبوا وتركا دينك الذي أنت عليه. (أختك

فاطمة وختنك وابن عمك سعيد بن زيد) والله لقد أسلما وتابعا محمداً على دينه.

فمشى عمر ذامراً [(١)] حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين: خباب بن الأرت فلما سمع خباب حِسَّ عمر توارى في البيت، فدخل عليهما فقال: ما هذه الهينمة[(٢)] التي سمعتها عندكم؟ وكانوا يقرءون سورة طه، فقالا: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا. قال: فلعلكما قد صبوتما. فقال له خَتَنُه: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على ختنه فوطأه وطئاً شديداً، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها، فنفحها بيده نفحة فَدَمَّى وجهها. فقالت -وهي غضبى-: إن كان الحق في غير دينك!! أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. قالت أخته وختنه: قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما شئت. فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة فأقرأها. قالت: إنك نجس على شركك، وإنه لا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل أو توضأ فقام فاغتسل فأعطته الصحيفة فقرأها -وهي من سورة طه- حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤] فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه. فقال عمر: دلوني على محمد. فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال: أبشر يا عمر، فإني أرجو أن دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام». ورسول الله ﷺ في الدار التي في أصل الصفا فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى باب الدار حمزة وطلحة رضي الله عنهما وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ.

---

(١) ذامراً أي متهدداً.

(٢) الهينمة: الكلام الخفي الذي لا يفهم.

فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر قال حمزة: نعم، فهذا عمر، فإن يرد الله بعمر خيراً يسلم ويتبع النبي ﷺ، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هيناً، ورسول الله ﷺ داخل يوحى إليه.

فخرج رسول الله ﷺ حتى أتى عمر، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف، وقال: «أما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة؟ اللهم هذا عمر بن الخطاب، أعز الدين بعمر بن الخطاب». فقال عمر: أشهد أنك رسول الله. فأسلم، وقال: اخرج يا رسول الله[1].

وفي رواية قال عمر: «فخرجت حتى وصلت إليه، وقرعت الباب فقالوا: من؟ قلت: ابن الخطاب. فقال النبي ﷺ: افتحوا له. ففتحوا لي فأخذ رجلان بعضدي حتى أتيا بي النبي ﷺ فقال: خلوا عنه. ثم أخذ بمجامع قميصي وجذبني إليه ثم قال: أسلم يا ابن الخطاب، اللهم اهده، فتشهدت، فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بفجاج مكة».

وحينئذ قال عمر للرسول ﷺ: يا رسول الله، ألسنا على الحق؟ قال: بلى. قال: فلم نستخفي بديننا؟ وطلب من الرسول ﷺ أن يخرج المسلمون إلى المسجد فخرجوا جهاراً نهاراً وعلى رأسهم رسول الله ﷺ، وحمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب -رضي الله عنهم جميعاً- حتى دخلوا المسجد ففزعت قريش لذلك فزعاً شديداً، وفرح المسلمون واستبشروا، وهكذا كان إسلام عمر فتحاً للإسلام ونصراً للدعوة ومبدأ عهد جديد للدعوة

---

(١) العيني ج٨ ص٦٨، عن أنس.

وللجهاد من أجل إعلاء كلمة الله تعالى[١].

روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب. وإسناده صحيح حسن.

وسبب تسميته الفاروق؛ لأنه أظهر الإسلام، وفرق بين الحق والباطل.

وأخرج ابن سعد عن ذكوان قال: قلت لعائشة: من سمى عمر الفاروق؟ قالت: النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وهو الفاروق؛ فرق الله به بين الحق والباطل».

وأخرج ابن سعد والطبراني، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمامته رحمة، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي إلى البيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا.

وكان إسلامه رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ست من النبوة.

هجرته:

أخرج بن عساكر عن علي قال: ما علمت أحداً هاجر إلا مختفياً إلا عمر

---

(١) قصة إسلام عمر مروية باختصار في المستدرك على الصحيحين عن أسلم عن عمر للحاكم النيسابوري حديث رقم (٦٨٩٧/ ٢٤٩٥)، (٦٨٩٨/ ٢٤٩٦)، ورويت مطولةً في كنز العمال عن أسلم عن عمر حديث رقم (٣٥٧٤٠)، وقال صاحب كنز العمال بعد الرواية: «لا نعلم أحداً رواه بهذا السند إلا إسحاق بن إبراهيم الحنيني، ولا نعلم في إسلام عمر أحسن منه... قال الذهبي في المغني: «إسحاق بن إبراهيم الحنيني متفق على ضعفه»، كما رويت أيضاً في مجمع الزوائد حديث رقم (١٤٤١٣) قال الحافظ الهيثمي: رواه البزار، وفيه أسامة بن زيد بن أسلم وهو ضعيف.

ابن الخطاب؛ فإنه لما هم بالهجرة إلى المدينة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يده أسهماً، وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها، فطاف سبعاً، ثم صلى ركعتين عند المقام، ثم أتى حلقهم واحدة واحدة، فقال: شاهت الوجوه[١]، من أراد أن تثكله أمه، وييتم ولده، وترمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي فما تبعه أحد منهم[٢].

جهاده مع رسول الله ﷺ:

شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، وكان ممن ثبت يوم أحد ويوم حنين.

موافقات عمر لربه عز وجل:

قد أوصلها بعضهم إلى عشرين وأكثر، منها[٣]:

ما أخرج الشيخان عن عمر رضي الله عنه قال: وافقت ربي في ثلاث:

قلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقلت: يا رسول الله، يدخل على نسائك البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن؟ فنزلت آية الحجاب[٤].

واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة فقلت: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله

---

(١) شاهت الوجوه: قبحت.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص١٣٥ .

(٣) من تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٤) وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

أزواجاً خيراً منكن[١]، فنزلت كذلك.

وأخرج مسلم عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث: في الحجاب، وفي أسارى بدر، وفي مقام إبراهيم، ففي هذا الحديث خصلة رابعة.

وفي التهذيب للإمام النووي: نزل القرآن بموافقته في أسرى بدر، وفي الحجاب، وفي مقام إبراهيم، وفي تحريم الخمر؛ فزاد خصلة خامسة، وحديثها في السنن ومستدرك الحاكم أنه قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً. فأنزل الله تحريمها.

ولما استشار الرسول ﷺ أصحابه في قصة الإفك، قال عمر: من زوجكها يا رسول الله؟ قال الله قال: أفنظن أن ربك دلس عليك فيها؟ ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]. فنزلت كذلك وهذه السادسة..

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن أبي ليلى أن يهودياً لقي عمر فقال: إن جبريل الذي يذكره صاحبكم عدو لنا. فقال له عمر: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾. فنزلت على لسان عمر رضي الله عنه. الآية في البقرة: ٩٨ وهذه السابعة.

ومنها قصة عبد الله بن أبي لما صلى عليه رسول الله ﷺ قال عمر: فقلت: يا رسول الله، أو على عدو الله القائل كذا وكذا؟ فوالله ما كان يسيراً إلّا نزلت ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤] وهذه الثامنة.

فضائله[٢]:

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي عليه الصلاة

(١) قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥].

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٣٦ - ١٣٩ .

والسلام: «بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، قلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر. فذكرت غيرتك، فوليت مدبراً». فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟

وأخرج الشيخان عن ابن عمر أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: «بينا أنا نائم شربت -يعني اللبن- حتى أنظر الري يجري في أظفاري، ثم ناولته عمر» قالوا: فما أَوَّلْتَه يا رسول الله؟ قال: العلم».

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «بينا أنا نائم رأيت الناس عُرضوا عليَّ وعليهم قُمُص، فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض علي عمر وعليه قميص يجره». قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين».

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «يابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك»[١].

وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس مُحَدَّثون[٢] فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر».

وأخرج الترمذي عن ابن عمر أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه». قال ابن عمر: «وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر».

وأخرج الترمذي، والحاكم وصححه، عن عقبة بن عامر قال: قال النبي

---

(١) فجك: بفتح الفاء وتشديد الجيم- الطريق.
(٢) محدَّثون: أي ملهمون.

ﷺ : «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب».

وأخرجه الطبراني عن أبي سعيد الخدري، وعصمة بن مالك، وأخرجه ابن عساكر من حديث ابن عمر.

وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر».

وأخرج ابن ماجه والحاكم عن أبي بن كعب قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه، وأول من يأخذ بيده فيدخل الجنة».

وأخرج ابن ماجه والحاكم عن أبي ذر قال: سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به».

وأخرج أحمد والبزار عن أبي هريرة قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه». وأخرجه الطبراني من حديث عمر بن الخطاب، وبلال، ومعاوية بن أبي سفيان، وعائشة رضي الله عنهم وأخرجه ابن عساكر من حديث ابن عمر.

وأخرج ابن منيع في مسنده ، عن علي رضي الله عنه قال: كنا أصحاب محمد لا نَشُكُّ أن السكينة تنطق على لسان عمر.

وأخرج البزار عن ابن عمر قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «عمر سراج أهل الجنة». وأخرجه ابن عساكر من حديث أبي هريرة، والصعب ابن جثامة.

وأخرج البزار عن قدامة بن مظعون، عن عمه عثمان بن مظعون، قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «هذا غَلَقَ الفتنة، وأشار بيده إلى عمر، لا

يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش هذا بين أظهركم».

وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «جاء جبريل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال: أقرئ عمر السلام، وأخبره أن غضبه عِزٌّ، ورضِاهُ حكم».

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «إن الشيطان يَفْرَقُ[1] من عمر».

وأخرج أحمد من طريق بريدة أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «إن الشيطان لَيَفْرَقُ منك يا عمر».

وأخرج ابن عساكر، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «ما في السماء مَلَكٌ إلا وهو يُوَقِّرُ عمر، ولا في الأرض شيطان إلا وهو يَفْرَقُ من عمر».

وأخرج الطبراني في الأوسط، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إن الله باهى[2] بأهل عرفة عامة، وباهى بعمر خاصة». وأخرج في الكبير مثله من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وأخرج الطبراني والدَّيْلمي عن الفضل بن العباس قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «الحق بعدي مع عمر حيث كان».

وأخرج الشيخان عن ابن عمر، وأبي هريرة رضي الله عنه قالا: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «بينا أنا نائم رأيتني على قليب[3] عليها دلو، فنزعت منها إلى

---

(١) فرق يفرق فرقاً -بوزن فرح- أي خاف.

(٢) باهى: فاخر.

(٣) القليب: البئر.

ما شاء الله، ثم أخذها أبو بكر فنزع ذَنُوباً أو ذَنوبَين[١] وفي نَزْعِه ضَعْف، والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستقى فاستحالت في يده غَرْباً[٢]، فلم أر عبقرياً من الناس يَفْري فَرْيَه[٣] حتى رَوِيَ الناس، وضربوا بعَطَنٍ»[٤].

قال النووي في تهذيبه: قال العلماء: هذا إشارة إلى خلافة أبي بكر وعمر، وكثرة الفتوح، وظهور الإسلام في زمن عمر.

وأخرج الطبراني عن سديسة قالت: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا خر لوجهه» وأخرجه الدارقطني في الأفراد من طريق سديسة عن حفصة.

وأخرج الطبراني عن أبي بن كعب قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «قال لي جبريل: لَيَبكِ الإسلام على موت عمر».

وأخرج الطبراني في الأوسط، عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من أبغض عمر فقد أبغضني، ومن أحب عمر فقد أحبني، وإن الله باهى بالناس عشية عرفة عامة، وباهى بعمر خاصة، وإنه لم يبعث الله نبياً إلا كان في أمته محدَّث، وإن يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر، قالوا: يا نبي الله، كيف محدث؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه». إسناده حسن.

أقوال الصحابة والسلف فيه[٥]:

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ما على الأرض رجل أحب إلي من عمر.

---

(١) الذنوب: الدلو.

(٢) الغرب، بالفتح: الدلو العظيمة.

(٣) يفري فريه: يعمل مثل ما يعمل.

(٤) بعطن: أي: رُووا ثم أقاموا على الماء.

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص١٤٠ - ١٤١ .

أخرجه ابن عساكر.

وقيل لأبي بكر في مرضه: ماذا تقول لربك وقد ولَّيْتَ عمر؟ قال: أقول له: وليت عليهم خيرهم. أخرجه ابن سعد.

وقال علي رضي الله عنه : إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر، ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر. أخرجه الطبراني في الأوسط. وإسناده حسن (مجمع الزوائد)

وقال ابن عمر رضي الله عنه : ما رأيت أحداً قط بعد النبي ﷺ من حين قبض أَحَدَّ ولا أجود من عمر. أخرجه ابن سعد.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان، ووضع علم أحياء الأرض في كفة لرجح علم عمر بعلمهم، ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم. أخرجه الطبراني في الكبير والحاكم.

وقال حذيفة رضي الله عنه : كأن علم الناس كان مدسوساً في حِجر عمر.

وقال حذيفة رضي الله عنه : والله ما أعرف رجلًا لا تأخذه في الله لومة لائم إلا عمر.

وقالت عائشة رضي الله عنها -وذكرت عمر-: «كان والله أَحْوَذِيًا نَسِيجَ وحده». (رواه الطبراني في الصغير والأوسط من طرق ورجال أحدها ثقات).

وقال معاوية رضي الله عنه : أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن. أخرجه الزبير بن بكار في الموفقيات.

وقال جابر رضي الله عنه : دخل علي على عمر -وهو مسجى- فقال: رحمة الله

عليك، ما من أحد أحب إلي أن ألقى بما في صحيفته بعد صحبة النبي عليه الصلاة والسلام من هذا المسجى. أخرجه الحاكم.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر، إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله، وأفقهنا في دين الله تعالى. أخرجه الطبراني والحاكم.

وسئل بن عباس عن أبي بكر فقال: كان كالخير كله. وسئل عن عمر فقال: كان كالطير الحذر، الذي يرى أن له بكل طريق شركاً يأخذه. وسئل عن علي فقال: ملئ عزماً وعلماً ونجدة. أخرجه في الطيوريات.

وأخرج الطبراني عن عمير بن ربيعة أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار: كيف تجد نعتي؟ قال: أجد نعتك قرناً من حديد. قال: وما قرن من حديد؟ قال: أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم. قال: ثم مَهْ؟ قال: ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة ظالمة. قال: ثم مَهْ؟ قال: ثم يكون البلاء.

وأخرج أحمد والبزار والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: فضل عمر بن الخطاب الناس بأربع: بذكر الأسرى يوم بدر، أمر بقتلهم فأنزل الله ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ [الأنفال: ٦٨]، وبذكر الحجاب، أمر نساء النبي ﷺ أن يحتجبن، فقالت له زينب: وإنك علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل علينا في بيوتنا فأنزل الله ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] وبدعوة النبي عليه الصلاة والسلام: «اللهم أيد الإسلام بعمر». وبرأيه في أبي بكر؛ كان أول من بايعه.

وأخرج ابن عساكر عن مجاهد قال: كنا نُحَدَّثُ أن الشياطين كانت مصفدة في إمارة عمر، فلما أصيب بُثَّتْ. انتهى من تاريخ الخلفاء للسيوطي.

كراماته[1]:

روى مالك، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: وجه عمر جيشاً، ورأس عليهم رجلًا يدعى سارية، فبينما عمر يخطب جعل ينادي: يا سارية الجبل - ثلاثاً- ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال: يا أمير المؤمنين هزمنا، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتاً ينادي: يا سارية الجبل -ثلاثاً- فأسندنا ظهورنا للجبل، فهزمهم الله. قال: قيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك. وذلك الجبل الذي كان سارية عنده بنهاوند من أرض العجم. قال ابن حجر في الإصابة: إسناده حسن.

وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن عمرو بن الحارث قال: بينما عمر بن الخطاب على المنبر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة فقال: يا سارية الجبل -مرتين أو ثلاثاً- ثم أقبل على خطبته، فقال بعض الحاضرين: لقد جن، إنه لمجنون.

فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان يطمئن إليه فقال: «لشدَّ ما ألومهم عليك إنك لتجعل لهم على نفسك مقالًا، بينا أنت تخطب إذ أنت تصيح: يا سارية الجبل. أي شيء هذا؟ قال: إني والله ما ملكت ذلك، رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم، فلم أملك أن قلت: يا سارية الجبل، ليلحقوا بالجبل، فلبثوا إلى أن جاء رسول سارية بكتابه، إن القوم لقونا يوم الجمعة، فقاتلناهم حتى إذا حضرت الجمعة ودار حاجب الشمس، سمعنا منادياً ينادي: يا سارية الجبل مرتين، فلحقنا بالجبل، فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم. فقال أولئك الذين طعنوا عليه: دعوا هذا الرجل؛ فإنه مصنوع له».

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٤٥ .

صفته(١):

أخرج ابن عساكر، عن أبي رجاء العُطاردي قال: كان عمر طويلًا جسيماً، أصلع شديد الصلع، أبيض شديد الحمرة، في عارضيه خفة، سَبَلَتُه كبيرة(٢)، وفي أطرافها صُهْبَة(٣).

وأخرج ابن سعد، عن ابن عمر، أنه وصف عمر فقال: رجل أبيض، تعلوه حمرة، طُوال، أصلع، أشيب.

وأخرج عن سلمة بن الأكوع قال: كان عمر رجلًا أعسر (أيسر) يعني يعمل بيديه جميعاً.

خلافته وفتوحاته(٤):

قال الزهري: استخلف عمر يوم توفي أبو بكر الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ١٣ هجرية فقام بالأمر خير قيام، وكثرت الفتوح في أيامه:

ففي سنة ١٤ هـ فُتحت دمشق ما بين صلح وعَنْوَة، وحمص وبعلبك صلحاً، والبصرة والأَبلَّة عنوة.

وفيها جمع عمر الناس على صلاة التراويح، قاله العسكري في الأوائل.

وفي سنة خمس عشرة فتحت الأردن كلها عنوة إلا طبرية، فإنها فتحت صلحاً، وفيها كانت وَقْعَةُ اليرموك والقادسية.

---

(١) تاريخ الخلفاء للسوطي، ص ١٥٣ .
(٢) السَّبُلة: طرف الشارب.
(٣) والصُهْبَة: سواد في حمرة.
(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٥٤-١٦٠.

قال ابن جرير: وفيها مَصَّر سعد الكوفة، وفيها فرض عمر الفروض، ودَوَّن الدواوين، وأعطى العطاء على السابقة.

وفي سنة ستَّ عشرة فتحت الأهواز والمدائن، وأقام بها سعد الجمعة في إيوان كسرى، وهي أول جمعة جمعت بالعراق، وذلك في صفر، وفيها كانت وقعة جَلُولاء، وهزم فيها يزدجرد بن كسرى وتقهقر إلى الري، وفيها فتحت تكريت، وفيها سار عمر، ففتح بيت المقدس، وخطب بالجابية خطبته المشهورة، وفيها فتحت قنسرين عنوة، وحلب، وأنطاكية، ومنبج صلحاً، وسروج عنوة، وفيها فتحت قرقيسياء صلحاً، وفي ربيع الأول كتب التاريخ من الهجرة بمشورة علي.

وفي سنة سبع عشرة زاد عمر في المسجد النبوي، وفيها كان القحط بالحجاز، وسمي عام الرَّمَادة، واستسقى عمر للناس بالعباس.

أخرج ابن سعد، عن نيار الأسلمي أن عمر لما خرج يستسقي خرج وعليه برد رسول الله ﷺ.

وأخرج عن ابن عون قال: أخذ عمر بيد العباس ثم رفعها، وقال: اللهم إنا نتوسل إليك بعم نبيك أن تذهب عنا المحل[1] وأن تسقينا الغيث، فلم يبرحوا حتى سقوا، فأطبقت السماء عليهم أياماً، وفيها فتحت الأهواز صلحاً.

وفي سنة ثمان عشرة فتحت جُنْدَيسَابور صلحاً، وحلوان عَنْوَةً، وفيها كان طاعون عمواس، وفيها فتحت الرها، وسميساط عنوة، وحران، ونصيبين، وطائفة من الجزيرة عَنْوَةً، وقيل: صلحاً، والموصل ونواحيها عَنْوَةً.

---

(١) المحل - بالفتح -: القحط والجدب، وذلك بسبب احتباس المطر.

وفي سنة تسع عشرة فتحت قيسارية عَنْوَةً.

وفي سنة عشرين فتحت مصر عنوة، وقيل: مصر كلها صلحاً، إلا الإسكندرية فعَنْوَةً، وقال علي بن رباح: المغرب كله عَنْوَةً، وفيها فتحت تُسْتر، وفيها هلك قيصر عظيم الروم، وفيها أجلى عمر اليهود عن خيبر، وعن نجران، وقسم خيبر ووادي القرى.

وفي سنة إحدى وعشرين فتحت الإسكندرية عَنْوَة، ونهاوند، ولم يكن للأعاجم بعدها جماعة، وبَرْقَة وغيرها.

وفي سنة اثنتين وعشرين فتحت أذربيجان عنوة، وقيل: صلحاً، والدِّينَور عنوة، وماسبذان عنوة، وهمذان عنوة، وطرابلس المغرب، والري، وعسكر، وقومس.

وفي سنة ثلاث وعشرين كان فتح كرمان، وسجستان، ومكران، من بلاد الجبال، وأصبهان ونواحيها.

استشهاده واستخلافه(١):

وفي آخر سنة ثلاث وعشرين كانت وفاة سيدنا عمر رضي الله عنه بعد صدوره من الحج شهيداً.

قال سعيد بن المسيب: لما نفر عمر من منى أناخ بالأبطح، ثم استلقى ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مُضَيّعٍ ولا مفرط، فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل. أخرجه الحاكم.

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٦١ - ١٦٤ .

وقال أبو صالح السمان: قال كعب الأحبار لعمر: أجدك في التوراة تقتل شهيداً. قال: وأنى لي بالشهادة وأنا بجزيرة العرب؟

وقال أسلم: قال عمر: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك. أخرجه البخاري.

وقال معدان بن أبي طلحة: خطب عمر فقال: رأيت كأن ديكاً نقرني نقرة أو نقرتين، وإني لا أراه إلا حضور أجلي، وإن قوماً يأمرونني أن أستخلف، وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته، فإن عجل بي أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو راض عنهم. أخرجه الحاكم.

قال الزهري: كان عمر رضي الله عنه لا يأذن لِسَبْي قد احتلم في دخول المدينة، حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاماً عنده جملة صنائع ويستأذنه أن يدخل المدينة، ويقول: إن عنده أعمالًا كثيرة فيها منافع للناس؛ إنه حداد نقاش نجار. فأذن له أن يرسله إلى المدينة، وضرب عليه المغيرة مائة درهم في الشهر، فجاء إلى عمر يشتكي شدة الخراج، فقال: ما خراجك بكثير، فانصرف ساخطاً يتذمر، فلبث عمر ليالي ثم دعاه فقال: ألم أُخْبَرْ أنك تقول: لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح؟ فالتفت إلى عمر عابساً وقال: لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها. فلما ولى قال عمر لأصحابه: أوعدني العبد آنفاً. ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذي رأسين، نصابه في وسطه، فكمن بزاوية من زوايا المسجد في الغَلَس، فلم يزل هناك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة، فلما دنا منه طعنه ثلاث طعنات. أخرجه ابن سعد.

وقال عمر بن ميمون الأنصاري: إن أبا لؤلؤة عبدَ المغيرة طعن عمر بخنجر له رأسان، وطعن معه اثني عشر رجلًا مات منهم ستة، فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوباً، فلما اغتم فيه قتل نفسه.

وقال أبو رافع: كان أبو لؤلؤة عبدُ المغيرة يصنع الأرحاء، وكان المغيرة يستغله[١] كل يوم أربعة دراهم، فلقي عمر فقال: يا أمير المؤمنين، إن المغيرة قد أثقل علي فكلِّمه. فقال: أحسن إلى مولاك. ومن نية عمر أن يُكلِّم المغيرة فيه، فغضب، وقال: يسع الناس كلهم عدله غيري. وأضمر قتله، واتخذ خنجراً وشحذه، وسَمَّه، وكان عمر يقول: «أقيموا صفوفكم». قبل أن يكبر، فجاء فقام حذاءه في الصف وضربه في كتفه وفي خاصرته، فسقط عمر، وطعن ثلاثة عشر رجلًا معه فمات منهم ستة، وحمل عمر إلى أهله وكادت الشمس تطلع، فصلى عبد الرحمن بن عوف بالناس بأقصر سورتين وأُتِيَ عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه[٢] فلم يتبين، فسقوه لبنا فخرج من جرحه فقالوا: لا بأس عليك. فقال: إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت. فجعل الناس يثنون عليه ويقولون: كنت وكنت. فقال: أما والله لوددت أنني خرجت منها كفافاً لا علي، ولا لي، وأن صحبة رسول الله ﷺ سلمت لي. وأثنى عليه ابن عباس فقال: لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من هول المطلع، وقد جعلتها شورى في عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وأمر صهيباً أن يصلي بالناس، وأجل الستة ثلاثاً. أخرجه الحاكم.

---

(١) يستغله: يأخذ منه غلة وذلك نظير إذنه له في مزاولة الصناعة والاتجار.
(٢) في تاريخ الذهبي: فخرج من جوفه.

وقال ابن عباس: كان أبو لؤلؤة مجوسياً.

وقال عمرو بن ميمون: قال عمر: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يَدَّعي الإسلام، ثم قال لابنه: يا عبد الله، انظر ما علي من الدين، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين[١] ألفاً أو نحوها، فقال: إن وفى مال آل عمر فأده من أموالهم، وإلا فاسأل في بني عدي، فإن لم تف أموالهم فاسأل في قريش، اذهب إلى أم المؤمنين عائشة فقل: يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه. فذهب إليها فقالت: كنت أريده -تعني المكان- لنفسي، ولأُوثِرَنَّهُ اليوم على نفسي. فأتى عبد الله فقال: قد أذنت. فحمد الله. وقيل له: أوص يا أمير المؤمنين واستخلف. قال: ما أرى أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي النبي ﷺ وهو عنهم راض، فسمى الستة وقال: يشهد عبد الله بن عمر معهم، وليس له في الأمر شيء، فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة. ثم قال: أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله، وأوصيه بالمهاجرين والأنصار، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً. في مثل ذلك من الوصية، فلما توفي خرجنا به نمشي، فسلم عبد الله بن عمر وقال: عمر يستأذن، فقالت عائشة: أدخلوه، فأدخل، فوضع مع صاحبيه.

فلما فرغ من دفنه ورجعوا اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي. وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن. وقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان. قال: فخلا هؤلاء الثلاثة، فقال عبد الرحمن: أنا

---

(١) في تاريخ الذهبي: ستة وثلاثين ألفاً، أو نحوها.

لا أريدها، فأيكما يبرأ من هذا الأمر ونجعله إليه؟ والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه ليحرص على صلاحة الأمة، فسكت الشيخان علي وعثمان، فقال عبد الرحمن: اجعلوه إلي والله علي لا آلوكم عن أفضلكم. قالا: نعم. فخلا بعلي وقال: لك من القدم في الإسلام والقرابة من النبي عليه الصلاة واسلام ما قد علمت، الله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن؟ قال: نعم. ثم خلا بالآخر فقال له كذلك، فلما أخذ ميثاقهما بايع عثمان، وبايعه علي[١].

وفي مسند أحمد عن عمر أنه قال: إن أدركني أجلي وأبو عبيدة بن الجراح حي استخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن لكل نبي أميناً، وأميني أبو عبيدة بن الجراح». فإن أدركني أجلي -وقد توفي أبو عبيدة- استخلفت معاذ بن جبل، فإن سألني ربي: لم استخلفته؟ قلت: سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «إنه يحشر يوم القيامة بين يدي العلماء نبذة» وقد ماتا في خلافته.

وفي المسند أيضاً عن أبي رافع أنه قيل لعمر عند موته في الاستخلاف، فقال: قد رأيت من أصحابي حرصاً سيئاً، ولو أدركني أحد الرجلين ثم جعلت هذا الأمر إليه لوثقت به: سالم مولى أبي حذيفة، وأبو عبيدة بن الجراح.

أصيب عمر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة، ودفن يوم الأحد مستهل المحرم الحرام، وله ثلاث وستون سنة، وقيل: ست وستون سنة، وقيل: إحدى وستون. وقيل: ستون، ورجحه الواقدي. وقيل: تسع وخمسون.

---

(١) من حديث البخاري (رقم ٣٤٩٧).

وقيل: خمس أو أربع وخمسون. وصلى عليه صهيب في المسجد.

وفي تهذيب المزني: كان نقش خاتم عمر «كفى بالموت واعظاً يا عمر».

وأخرج الطبراني عن طارق بن شهاب، قال: قالت أم أيمن يوم قتل عمر: اليوم وهى الإسلام[١].

وأخرج عبد الرحمن بن يسار قال: شهدت موت عمر بن الخطاب، فانكسفت الشمس يومئذ. ورجاله ثقات.

وثبت في الصحيح أنه كان يدعو «اللهم إني أسألك الشهادة في سبيلك، وموتاً في بلد رسولك». وكان استشهاده مصداقاً لحديث البخاري «اثبت أحد؛ فما عليك إلا نبي، وصديق، وشهيدان».

أَوَّلِيَّات عمر ﷺ[٢]:

قال العسكري: هو أول من سمي أمير المؤمنين، وأول من كتب التاريخ من الهجرة، وأول من اتخذ بيت المال، وأول من سن قيام شهر رمضان[٣] وأول من عس بالليل[٤]، وأول من عاقب على الهجاء، وأول من ضرب في الخمر ثمانين، وأول من حرم المتعة[٥]، وأول من نهى عن بيع أمهات

---

(١) وَهَىٰ: ضَعُفَ.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٦٥ - ١٦٦.

(٣) يعني أول من جمع الناس على إمام واحد في صلاة التراويح عشرين ركعة، والوتر ثلاث ركعات، وقد وافق الصحابة على ذلك، ومعاذ الله أن يشرع عمر ما ليس في دين الله، ويوافقه الصحابة على ذلك.

(٤) عس: طاف يتفقد أحوال الناس.

(٥) يعني: أول من نادى بتبليغ تحريم المتعة حيث جاء في الحديث ما يدل على أن ناساً لم يبلغهم التحريم فتمتعوا في عهد رسول الله ﷺ وفي عهد أبي بكر، وصدراً من خلافة عمر، فلما بلغه أمر منادياً ينادي بالتحريم، وبلغ التحريم لكل الأمكنة.

الأولاد، وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات، وأول من اتخذ الديوان، وأول من فتح الفتوح، ومسح السواد، وأول من حمل الطعام من مصر في بحر أيلة إلى المدينة، وأول من احتبس صدقة في الإسلام[١] وأول من أعال الفرائض[٢]، وأول من أخذ زكاة الخيل، وأول من قال: أطال الله بقاءك قاله لعلي، وأول من قال: أيدك الله. قاله لعلي. وهذا ما ذكره العسكري.

وقال النووي في تهذيبه: هو أول من اتخذ الدُّرَّة، وكذا ذكره ابن سعد في الطبقات، قال: ولقد قيل بعده: لَدُرَّة عمر أهيب من سيفكم. قال: وهو أول من استقضى القضاة في الأمصار، وأول من مصر الأمصار: الكوفة، والبصرة، والجزيرة، والشام، ومصر، والموصل.

وأخرج ابن عساكر عن إسماعيل بن زياد قال: مر علي بن أبي طالب على المساجد في رمضان وفيها القناديل فقال: نور الله على عمر في قبره كما نور علينا في مساجدنا.

قال ابن سعد: اتخذ عمر دار الدقيق، فجعل فيها الدقيق، والسويق، والتمر، والزبيب، وما يحتاج إليه: يعين به المنقطع، ووضع فيما بين مكة والمدينة بالطريق ما يصلح من ينقطع به، وهدم المسجد النبوي، وزاد فيه ووسعه وفرشه بالحصباء، وهو الذي أخرج اليهود من الحجاز إلى الشام، وأخرج أهل نجران إلى الكوفة، وهو الذي أخر مقام إبراهيم إلى موضعه

(١) يريد أول من وقف شيئاً يتصدق بغلته.
(٢) الفرائض: المواريث، وعولها: زيادة مجموع الفرائض على التركة، فينقص سهم كل ذي سهم بنسبته من الواحد الصحيح.

اليوم، وكان ملصقاً بالبيت.

نبذ من حياة عمر رضي الله عنه [(١)]:

أخرج ابن سعد عن شداد قال: أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال: «اللهم إني شديد فَلَيِّني، وإني ضعيف فَقَوِّني، وإني بخيل فَسَخِّنِي».

وأخرج عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان عمر إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء تقدم إلى أهله فقال: لا أعلمن أحداً وقع في شيء مما نهيت عنه إلا أضعفت عليه العقوبة.

وروينا (السيوطي) من غير وجه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة، وكان يفعل ذلك كثيراً إذ مر بامرأة من نساء العرب مغلقاً عليها بابها، وهي تقول:

تطاول هذا الليل تسري كواكبه وأرقني أن لا ضجيع ألاعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه لزحزح من هذا السرير جوانبه
ولكنني أخشى رقيباً موكلًا بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه
مخافة ربي والحياء يصدني وأكرم بعلي أن تنال مراتبه

فكتب إلى عماله بالغزو أن لا يغيب أحد أكثر من أربعة أشهر.

وفي رواية ابن جريج أنه سأل حفصة رضي الله عنها : كم تشتاق المرأة إلى زوجها؟ فخفضت رأسها واستحيت. قال: فإن الله لا يستحيي من الحق.

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

فأشارت بيدها ثلاثة أشهر وإلا فأربعة أشهر. فكتب عمر أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر.

التاريخ الهجري:

استشار الفاروق رضي الله عنه المسلمين ليرى رأيهم حول التاريخ الذي يؤرخ به المسلمون حوادثهم فاقترح البعض أن يؤرخ بمولد النبي ﷺ ، واقترح البعض أن يؤرخ بمبعثه ﷺ ، واقترح البعض أن يؤرخ بهجرته ﷺ ونسب هذا إلى علي رضي الله عنه .

فاختار عمر الفاورق أن يؤرخ التاريخ من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك، وذلك لأنه بالهجرة قام للإسلام دولة تحفظه، وتذود عنه وتبلغ دعوته للعالمين، ولقد كانت الهجرة مبدأ عهد جديد، وقد بدأ العمل بالتاريخ الهجري في السنة السادسة عشرة من الهجرة، واتفق المسلمون على أن يكون بدء السنة الهجرية هو بدء شهر الله المحرم.

***

الفصل الثالث

الخليفة الراشدي الثالث

عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

الخليفة الراشدي الثالث
عثمان بن عفان رضي الله عنه

نسبه ومكانته:

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وجدته لأمه أم أروى هي أم حكيم البيضاء عمة النبي ﷺ ، وكان يكنى في الجاهلية: أبا عمرو صار أبا عبد الله، ولد بعد ميلاد النبي ﷺ بست سنوات، ونشأ في رغد من العيش وثراء عريض.

وقد زوجه ﷺ ابنتيه رقية وأم كلثوم، الواحدة بعد الأخرى، ولذلك سمي (ذا النورين) وقال ﷺ لعثمان رضي الله عنه : «لو كان عندي مائة بنت تموت واحدة بعد واحدة لزوجتك أخرى حتى لا يبقى من المائة شيء»[(١)].

إسلامه:

خالته سعدى بنت كريز أخبرته بمبعث النبي ﷺ وإسلام أبي بكر، فأسلم على يد أبي بكر رضي الله عنه وقد أسلم وحده من بني أمية.

قال ابن إسحاق: وكان عثمان أول الناس إسلاماً بعد أبي بكر وعلي وزيد ابن حارثة.

وأخرج ابن سعد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال: لما

---

(١) من رواية ابن عساكر عن ابن عباس. كنز العمال برقم ٣٦٢٠٦ .

أسلم عثمان أخذه عمه الحكم فأوثقه رباطاً وقال: ترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث؟ والله لا أدعك أبداً حتى تدع ما أنت عليه. فقال عثمان: والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه، فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه.

صفاته الخَلقية:

أخرج ابن عساكر من طرق أن عثمان كان رجلًا رَبْعَةً: ليس بالطويل ولا بالقصير، حسن الوجه، أبيض، مشرباً حمرة، كثير اللحية أصلع، أحسن الناس ثغراً...

وأخرج عن عبد الله بن حزم المازني قال: رأيت عثمان بن عفان فما رأيت قط ذكراً ولا أنثى أحسن وجهاً منه.

وأخرج عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى منزل عثمان بصفحة فيها لحم فدخلت فإذا رقية رضي الله عنها جالسة، فجعلت مرة أنظر إلى وجه رقية، ومرة أنظر إلى وجه عثمان. فلما رجعت سألني رسول الله ﷺ قال لي: «دخلت عليهما؟» قلت: نعم. قال: «فهل رأيت زوجاً أحسن منهما؟» قلت: لا يا رسول الله.

وأخرج ابن عدي، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما زوج النبي ﷺ ابنته أم كلثوم قال لها: «إن بعلك أشبه الناس بجدك إبراهيم، وأبيك محمد، عليهما الصلاة والسلام».

صفاته الخُلقية:

الحياء، والسخاء، والحزم، وقوة الشخصية.

روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، دخل أبو بكر فلم تهتش

له، ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة».

وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة».

وكان سخي النفس، كريم اليد، كثير العطاء والإنفاق على قومه قبل الإسلام، محسناً إليهم، تحبه قريش حتى صار مضرب المثل:

أحبك والرحمن حب قريش عثمان

قصة عير عثمان:

قحط الناس في زمن أبي بكر رضي الله عنه فلما اشتد بهم الأمر جاءوا إلى أبي بكر فقالوا: إن السماء لم تمطر، والأرض لم تنبت، وقد توقع الناس الهلاك، فما نصنع؟

قال: انصرفوا واصبروا، فإني لأرجو الله أن لا تمسوا حتى يفرج الله عنكم، فلما كان آخر النهار ورد الخبر بقدوم عير عثمان وهي ألف بعير موسوقة براً وزيتاً وزبيباً، فجاء التجار يساومونه قالوا: بعنا من هذا الذي وصل إليك، فإنك تعلم ضرورة الناس. كأنهم يريدون التصدق بما يشترون.

قال عثمان: حباً وكرامة، كم تربحوني على شرائي؟

قالوا: الدرهم درهمين.

قال: أعطيت زيادة على هذا.

قالوا: أربعة.

قال: أعطيت زيادة على هذا.

قالوا: خمسة.

قال: أعطيت زيادة على هذا.

قالوا: يا أبا عمرو، ما بقي من التجار غيرنا، وما سبقنا إليك أحد، فمن الذي أعطاك؟

قال: فإ، الله أعطاني بكل درهم عشرة، أعندكم زيادة؟

قالوا: لا.

قال: فإني أشهد الله أني جعلت ما حملت هذه العير صدقة على المساكين وفقراء المسلمين.

فضائله:

١- من السابقين الأولين.
٢- ثالث الخلفاء الراشدين.
٣ - هجرته للحبشة مرتين.
٤- هجرته للمدينة.
٥- تخليه عن كل شيء في سبيل اللَّه.
٦- أحد العشرة المبشرين بالجنة.
٧- ذو النورين.

هجرته للحبشة:

وأخرج أبو يعلى عن أنس قال: أول من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بأهله عثمان بن عفان، فقال النبي ﷺ: صحبهما الله، إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط عليه الصلاة والسلام.

جهاده مع رسول اللّه ﷺ:

شهد المشاهد كلها: أحد، والخندق، وخيبر، وعمرة القضاء، وفتح مكة، وهوازن، والطائف، وتبوك، أما بدر فتخلف عنها بأمر رسول الله ﷺ للقيام بأمر زوجته، وأسهم له الرسول ﷺ في بدر، وأما الحديبية فغيابه عنها بأمر رسول الله ﷺ، ولما حصلت بيعة الرضوان قال ﷺ : «هذه لعثمان». ووضع يده اليمنى على الأخرى [(١)]، فكانت يد رسول الله ﷺ خيراً لعثمان من يده.

شراؤه بئر رومة وتجهيزه جيش العسرة:

وأخرج البخاري عن أبي عبد الرحمن السلمي أن عثمان حين حوصر أشرف عليهم فقال: أنشدكم بالله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة؟ فجهزتهم. ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من حفر بئر رومة فله الجنة» فحفرتها، فصدقوه بما قال.

وأخرج الحاكم، عن أبي هريرة قال: اشترى عثمان بن عفان رضي الله عنه الجنة من النبي ﷺ مرتين بيع الحق: حيث حفر بئر معونة (رومة)، وحيث جهز جيش العسرة. وقد ذكر أنه اشترى بئر رومة بعشرين ألف درهم.

أخرج الترمذي لما قال عثمان: يا رسول الله، علي ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. فنزل ﷺ وهو يقول: «ما على عثمان ما عمل بعد هذه شيء».

---

(١) رواه البخاري بنحوه (٣٤٩٥).

وأخرج الترمذي والحاكم وصححه قال: جاء عثمان بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره، فجعل رسول الله ﷺ يقلبها ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم» مرتين. وقد ذكر أنه تبرع زيادة عن الأطعمة بتسعمائة بعير، وخمسين فرساً.

ومن دعاء النبي له في تجهيزه جيش العسرة:

«اللهم إني قد رضيت عن عثمان فارض عنه» ثلاثاً. رواه أبو نعيم في فضائل الصحابة. وقال: «ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا اليوم قالها مراراً» رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح ولم يخرجاه.

وقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها وأبو سعيد الخدري: رأيت رسول الله ﷺ من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعاً يديه يدعو لعثمان، وفي رواية يقول لعثمان: «غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أخفيت وما أبديت، وما كان منك، وما هو كائن إلى يوم القيامة» رواه أبو نعيم عن حسان بن عطية عن أبي موسى الأشعري (كنز العمال).

حال الأمة في عهد عثمان رضي الله عنه :

روى البخاري بسنده عن الحسن البصري رحمه الله قال: أدركت عثمان - على ما نقموا عليه- وقل ما يأتي الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيراً. يقال لهم: يا معشر المسلمين، اغدوا على أعطياتكم. فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم: اغدوا على أرزاقكم، فيأخذونها وافرة. ثم يقال لهم: اغدوا على السمن والعسل، والأعطيات جارية، والأرزاق دارة، والعدو متقى، وذات البين حسن، والخير كثير، وما من مؤمن يخاف مؤمناً، ومن لقيه فهو أخوه.

وأما ما افتراه الحاقدون وروجه المغرضون من ضعف عثمان لكبر سنه ومحاباته لأقاربه ومن ترف الصحابة وبنائهم القصور وغير ذلك ما هو إلا خيال من مرض في النفوس وحقد في القلوب.

كيف تم انتخاب عثمان ﷺ :

ومن احتياطات عمر بن الخطاب ﷺ : إشراك مجموعة من الصحابة لحماية الشورى، وتعجيل نتائجها.

فعمار والمقداد في ثلاثين من المهاجرين، وأبو طلحة الأنصاري في خمسين من قومه[١].

قال البخاري: يقول عمرو بن ميمون: فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف. قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي عنهم رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. فسمى: علياً، وعثمان، وطلحة، وسعداً، وعبد الرحمن، والزبير، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة.

فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم.

فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي.

فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف.

---

(١) تثبيت دلائل النبوة ص٢٧٩ .

فقال سعد: قد جعلت أمري إلى عثمان.

فقال عبد الرحمن: أيكم تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه، فسكت الشيخان.

فقال عبد الرحمن: أفتجعلونها إلي، والله عليَّ ألا آلو عن أفضلكم. قالا: نعم. ثم يأمر مسور بن مخرمة أن يدعو له علياً وعثمان وينفرد بكل واحد منهما، ويأخذ الميثاق عليهما، فمن ولَّاه لَيَعْدِلَنَّ ومن ولي غيره لَيَسْمَعَنَّ ولَيُطِيعَنَّ. فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه. اهـ.

وأما سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل أحد العشرة المبشرين بالجنة فينص عليه، ويستثنيه من بينهم ويقول: لست مدخله فيهم كل ذلك خشية أن تراعى قرابته من عمر فيوليه المسلمون مع أحقية غيره، وكذلك عبد الله بن عمر، وقال حسب آل الخطاب أن يحاسب واحد منهم عن أمور المسلمين.

وقد بويع رضي الله عنه بالخلافة بعد دفن عمر بثلاث ليالٍ. واستمرت خلافته اثنتى عشرة سنة.

شهادته:

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: «اثبت أحد؛ فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان». وقال فيه: «أما هذا فيقتل مظلوماً».

وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال: «يقتل فيها هذا مظلوماً». لعثمان.

وأخرج الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «يا عثمان، إنه لعل الله يقمصك قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني».

وأخرج الترمذي عن عثمان أنه قال يوم الدار: إن النبي ﷺ عهد إلي عهداً فأنا صابر عليه. وسيأتي تفصيل قصة حصار الدار، وقد استشهد رضي الله عنه بعد أن قتله السبئيون كما سيأتي.

* * *

السبئيون قتلة عثمان رضي الله عنه

أسلم عبد الله بن سبأ مع كعب الأحبار، ووهب بن منبه وكان إسلامهم في أواخر عهد عمر رضي الله عنه وأوائل عهد عثمان، وقد وثق علماء المسلمين كعباً ووهباً، وروى عنهما المحدثون.

وأما عبد الله بن سبأ فلم يوثقوه، وكان يتظاهر بالزهد وكثرة الذكر، ولا يتكلم أمام الصحابة وأهل العلم إلا قليلًا، وبما يناسب المقام، وفي الجو الجاهل يتحدث بطلاقة وراحة، وقد أنشأ تنظيماً سرياً ضم إليه الناقمين على عثمان من اليهود والمنافقين والمتجاوبين حقيقة مع مبدأ ضرب الإسلام من الداخل والقضاء عليه، وكانت هناك مجموعة تخطط وكانوا يرتبون الإشاعات ويهيجون الناس على عثمان.

وكانوا يبثون أموراً ويرون تجاوب الناس معها، ويركزون على عثمان كثيراً بتولية أقاربه وإعطائه الأموال لأقاربه وإرجاعه الحكم بن أبي العاص وقد نفاه النبي ﷺ إلى الطائف، وإذا عاقب عثمان شخصاً جاءوا إليه يتباكون حوله، ويظهرون له نقمتهم على معاقبته، ويلحون أنه مظلوم، ويتربصون الفرص للنيل من شخصية عثمان أولًا، وتأليب الناس عليه ثانياً، وكانوا يضعون الأحاديث في موضوعين هامين: الرجعة والوصية، ويضعون الأحاديث في محبة آل البيت، وهذه أمور يمكن أن يتجاوب معها العامة والجهلة، وبخاصة المسلمون الجدد.

ومن هذه الأحاديث: «عجيب لقوم فيهم آل نبيهم يُقْصُونهم عن الخلافة، ويولون غيرهم». «محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء». «لكل نبي

وصي، ووصي محمد علي». «عجيب لمن يؤمن برجعة عيسى، ولا يؤمن برجعة محمد».

وفي الجماعات الواعية يتحدثون بما يتفق مع الجلساء.

فيتحدثون أمام أبي ذر بالزهد في الدنيا، ويسيرون مع أبي ذر في الأحاديث التي يرويها رضي الله عنه.

وأبو ذر رضي الله عنه يرى وجوب التصدق بالفضل، وأنه لا يجوز أن يخبئ المسلم ما زاد على حاجته وحاجة أهله، وبالغ حتى أوصل الأمر إلى أنه يجب على ولاة الأمور أن ينفقوا كل ما في بيت المال، ولا يجوز حبسه عن المسلمين، وقد ناقشه سيدنا معاوية رضي الله عنه فلم يستطع إقناعه رضي الله عنه.

وعاقب عمار بن ياسر رضي الله عنه، فالتفوا حوله يهيجونه على عثمان، واكتشف معاوية رضي الله عنه مجموعة منهم تعبث بالكلام، فناقشهم، وأقام عليهم الحجة، وطردهم من الشام عندما رأى انحرافهم، وكلف عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بسوقهم إلى الكوفة مشياً على الأقدام وضربهم وإهانتهم.

وكانوا يؤلبون الناس على ولاة عثمان بكثرة الإشاعات وإلصاق التهم، حتى صارت كل بلد تقول من كثرة الإشاعات: (إنا لفي عافية مما فيه الناس) وتأتي الأخبار إلى الصحابة في المدينة ويزداد الجو توتراً.

ويأتي الصحابة إلى عثمان، ويتداولون في الأمور، ويميلون إلى استعمال الشدة ويطلبون منه رضي الله عنه أن يشتد فيأبى ويقول: إن باب الفتنة مفتوح، وأعوذ بالله أن يكون فتحه على يد عثمان.

ويرسل إلى الولاة في كافة الأمصار كتاباً يدعوهم للاجتماع، ويشرحون له

الحقيقة، ويتحدث معهم ويشير أكثرهم بالشدة، فيأبى رضي الله عنه ويقول: لو طلبوا مني أن أغير كل يوم والياً لفعلت.

يعرف عثمان رضي الله عنه أن وراء الشائعات أمراً مدبراً، ويسألهم عن الحل؟ فأجاب سعيد بن العاص والي الكوفة باستعمال الشدة أيضاً.

وأرسل إلى الأمصار من يكشف الحقيقة، فأرسل إلى الكوفة محمد بن مسلمة، وإلى البصرة أسامة بن زيد، وإلى الشام عبد الله بن عمر، وإلى مصر عمار بن ياسر، فرجع الجميع وبقي عمار بن ياسر في مصر.

وكان ترتيب السبئيين:

في مصر: الغافقي بن حرب العكي، يمني، وهناك قبائل يمنية نزلت مصر، وكنانة بن بشر التجيبي، وسودان بن حمران، وقتيرة بن فلان، والأخيران سكونيان (وقبيلة السكون من مرتدة حضرموت)، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي.

في البصرة: حكيم بن جَبَلَة من قبائل عبد القيس، وكان قد طرده ابن عامر من البصرة.

في الكوفة: مالك بن الحارث (الأشتر) النخعي، (والنخع قبيلة يمنية من مذحج، وهي من مرتدة حضرموت).

وقد زور السبئيون:

كتباً على لسان علي رضي الله عنه لأهل مصر، (وهناك محمد بن أبي بكر المتربي في بيت علي رضي الله عنه وانضم إليهم عمار رضي الله عنه)، وليس لعلي بها أي علم.

وكتباً على لسان الزبير رضي الله عنه لأهل الكوفة، وليس للزبير بها أي علم.

وكتباً على لسان طلحة رضي الله عنه لأهل البصرة، وليس لطلحة بها أي علم.

وأخيراً تداعى السبئيون لأداء فريضة الحج، فجاء خمسمائة من مصر وخمسمائة من الكوفة، وخمسمائة من البصرة، وبعد فريضة الحج، وذهاب الناس حاصروا عثمان في بيته، فأراد أبناء الصحابة[١] الدفاع عن عثمان رضي الله عنه فعزم على كل من له في عنقه بيعة أن يغمد سيفه، ويذهب إلى بيته، وخرج عليهم ففند أقوالهم، ورد على كل قضية من قضاياهم، وتظاهروا بالاقتناع، وطلبوا منه تغيير الولاة فأجابهم وعين على مصر محمد بن أبي بكر رضي الله عنه وتظاهروا بالخروج، وظن الصحابة أن الأمر قد انتهى. ولكنهم بعد ثلاث عادوا فقال المصريون: وجدنا كتاباً بخط عثمان، يحمله شخص مرسل من قبل عثمان على بعير من إبل الصدقة، والكتاب ممهور بخاتم عثمان بقتل أميرنا، فقال عثمان أمام الصحابة: ما كتبت وما ختمت وليس لي علم بهذا.

أقول: لا شك أنه مزور قبل الذهاب، وقد اكتشف ذلك علي رضي الله عنه فقال: أنتم يا أهل مصر وجدتم كتاباً بقتل واليكم فرجعتم، وأنتم يا أهل الكوفة، ويا أهل البصرة ما الذي أرجعكم وكيف علمتم؟ قالوا: قل ما شئت فإنا قاتلو الرجل، وتم الحصار على عثمان، ولم يكن أحد من الصحابة يظن أن عثمان سيقتل.

وتم منعه من الصلاة، ومنعه من الطعام والشراب، ولقد تعرض سيدنا علي وأم حبيبة لأذى من أجل هذا.

---

(١) كان من بينهم الحسن والحسين رضي الله عنهما.

وقد خرج عليهم عثمان فوعظهم وخوفهم من الله، والقوم مصممون على أن يخلع عثمان نفسه.

ورفض عثمان ذلك؛ لوصية النبي ﷺ له، وقد ودع عثمان أهل المدينة بقوله: (يا أهل المدينة، أستودعكم الله، وأسأل الله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي).

وقد بحث السبئيون عن مبرر لدخول الدار فلم يجدوا، وخرج عثمان عليهم مرة أخرى محذراً، ثم رجع إلى البيت واستسلم للقتل، وعمره حينئذ اثنان وثمانون سنة.

وأمر عثمان كله سنة ماضية وسيرة راضية، فإنه تحقق أنه مقتول بخبر الصادق له ذلك، وأنه بشره بالجنة على بلوى تصيبه، وأنه شهيد.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث مسلم، عن أبي سعيد مولى عثمان رضي الله عنه: أن عثمان أعتق عشرين مملوكاً ودعا بسراويل فشدها عليه ولم يلبسها في جاهلية ولا في إسلام، وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام، ورأيت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وأنهم قالوا لي: فإنك تفطر عندنا القابلة. ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه[(١)].

وقد حاول السبئيون أن يكون القتلة من المخدوعين بدلًا من السبئيين، وأرسلوا الواحد بعد الآخر حتى بلغ العدد أربعة فلم يفعلوا، فعلم السبئيون أنه لن يقتله أحد إلا منهم، فأُرسِلَ:

(١) روى الإمام أحمد هذا الحديث عن نائلة زوجة عثمان بقريب من هذا، وفي البداية والنهاية من حديث أيوب السختياني، عن نافع، عن عبد الله بن عمر، ومن طرق أخرى متعددة، وفي تاريخ الطبري (٥/ ١٢٥).

قتيرة بن فلان، وسودان بن حمران السكونيان، والغافقي بن حرب العكي، فضربه الغافقي بمشقص في ترقوته، وضرب المصحف برجله، وضربه سودان بن حمران، فأكبت عليه زوجته نائلة فقطع أصبعها، ثم قتله أغلمة عثمان (قتلوا سودان) فوثب قتيرة فقتل قاتل سودان، فوثب واحد على قتيرة فقتله.

وقيل: القاتل: كنانة بن بشر بن عتاب التُّجَيْبِي، وقد قتل في المعركة التي نشبت في مصر.

بقيت المدينة بعد مقتل عثمان خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب العكي، يلتمس هؤلاء من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه.

يأتي المصريون علياً فيختبئ منهم، ويلوذ بحيطان المدينة، فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقالتهم مرة بعد مرة.

ويطلب الكوفيون الزبير.

ويطلب البصريون طلحة.

فبعثوا إلى سعد بن أبي وقاص، وأتوا عبد الله بن عمر.

يأتي الناس علياً وهو في سوق المدينة وقالوا له: ابسط يدك نبايعك. قال: لا تعجلوا، فإن عمر كان رجلًا مباركاً، وقد أوصى بها شورى، فأمهلوا يجتمع الناس ويتشاورون، فارتد الناس عن علي رضي الله عنه.

ثم قال بعضهم: إن رجع الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان، ولم يقم بعده قائم بهذا الأمر لم نأمن اختلاف الناس، وفساد الأمة.

فعادوا إلى علي، فأخذ الأشتر بيده فقبضها علي فقال: أَبَعْدَ ثلاثة؟ أما

والله لئن تركتها لتعصرن عينك عليها حيناً، فبايعته العامة وأهل الكوفة يقولون: أول من بايعه الأشتر.

ويوم الخميس على رأس خمسة أيام جمعوا أهل المدينة فوجدوا سعداً والزبير خارجين ووجدوا طلحة في حائط له، فلما اجتمع لهم أهل المدينة تم الاتفاق على تولية علي رضي الله عنه.

فكانت بيعة علي رضي الله عنه كبيعة إخوانه، جاءت على قدرها وفي إبانها وأنها مستمدة من رضا الأمة في حينها، لا من وصية مزعومة، أو رموز خيالية موهومة.

وعقد له البيعة طلحة، فقال قائلهم: بايع علياً يد شلاء.

وواضح أن اختيارهم لسيدنا علي رضي الله عنه ليغطوا جريمتهم مؤقتاً، وليسكتوا الناس على أكبر جريمة ارتكبوها، وهي قتل ثالث الخلفاء الراشدين ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه في مدينة رسول الله ﷺ.

وواضح جداً أنه لم يتخلف عن بيعة علي رضي الله عنه أحد، وأنها تمت بإجماع أهل الحَلِّ والعقد من المسلمين.

أهم الضلالات التي نادى بها ابن سبأ[1]:

١- القول بالوصية: وهو أول من قال بوصية رسول الله ﷺ لعلي، وأنه خليفته على أمته من بعده بالنص، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون: وصيُّ بعد موسى عليهما السلام.

(١) من تاريخ دمشق لابن عساكر، راجع كتاب «عبد الله بن سبأ حقيقة لا خيال» لمؤلفه د. سعدي الهاشمي.

٢- أول من أظهر البراءة من أعداء علي رضي الله عنه بزعمه، وكاشف مخالفيه، وحكم بكفرهم.

٣- كان أول من قال بألوهية وربوبية علي رضي الله عنه .

٤- كان أول من ادعى النبوة من فرق الشيعة الغلاة، وزعم أن أمير المؤمنين علياً هو الله -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- فبلغ ذلك أمير المؤمنين فدعاه وسأله فأقر بذلك وقال: نعم أنت هو. قد كان ألقي في روعي أنك أنت الله، وأني نبي. فقال له أمير المؤمنين علي: ويلك قد سخر منك الشيطان، فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب. فأبى، فحبسه واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب فأحرقه بالنار، والصواب أنه نفاه إلى المدائن بعد أن شفع له، على ما ذكرته كتب الشيعة الإمامية، كما سيأتي بيانه.

٥- كان أول من أحدث القول برجعة علي رضي الله عنه إلى الدنيا بعد موته، وبرجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأول مكان أظهر فيه ابن سبأ مقالته هذه في مصر، فكان يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب برجوع محمد صلى الله عليه وسلم، وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٢٥] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها.

قالت السبئية لمن أخبرهم بمقتل سيدنا علي رضي الله عنه ونعاه: كذبت يا عدو الله، لو جئتنا (والله) بدماغه ضربة، فأقمت على قتله سبعين عدلًا، ما صدقناك، ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، ويملأ الأرض عدلًا وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً.

٦- ادعى ابن سبأ اليهودي أن علياً رضي الله عنه هو دابة الأرض، وأنه هو الذي خلق الخلق، وبسط الرزق.

٧- وقالت السبئية: إنهم لا يموتون وإنما يطيرون بعد مماتهم، وسميت بالطَّيَّارة.

٨- وقال قوم من السبئية بانتقال روح القدس في الأئمة. وقالوا بتناسخ الأرواح.

يقول ابن طاهر المقدسي: ومن الطيارة -أي السبئية- قوم يزعمون أن روح القدس كانت في النبي كما كانت في عيسى، ثم انتقلت إلى علي، ثم إلى الحسن، ثم إلى الحسين، ثم كذلك في الأئمة. وعامة هؤلاء يقولون بالتناسخ والرجعة.

٩- وقالت السبئية: هدينا لوحي ضل عنه الناس، وعلم خفي عنهم.

١٠- وقالوا: إن رسول الله ﷺ كتم تسعة أعشار الوحي.

وقد رد على مقالتهم هذه أحد أئمة أهل البيت، وهو الحسن بن محمد بن الحنفية، وقال: ولو كتم شيئاً مما أنزل الله عليه لكتم شأن امرأة زيد.

١١- وقالوا: إن علياً في السحاب، وإن الرعد صوته، والبرق سوطه، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين.

وقال ابن عساكر أيضاً: روى الصادق وهو أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ولد ٨٣ هـ وتوفي ١٤٨هـ) وهو الإمام السادس المعصوم عند الشيعة، روى عن آبائه الطاهرين، عن جابر قال: لما بويع علي رضي الله عنه خطب الناس فقام إليه عبد الله بن سبأ فقال له: أنت دابة الأرض. فقال له: اتق الله. فقال له: أنت الملك. فقال: اتق الله. فقال له: أنت الملك. فقال: اتق الله. فقال له: أنت خلقت الخلق، وبسطت الرزق. فأمر بقتله.

فاجتمعت الرافضة فقالت: دعه وانفه إلى ساباط المدائن، فإنك إن قتلته بالمدينة أي الكوفة خرج أصحابه علينا وشيعته. فنفاه إلى ساباط المدائن، فَثَمَّ[١] القرامطة والرافضة. أي: كانت بعد ذلك، وبجهود ابن سبأ أصبحت مركزاً يتجمعون فيه. قال (أي جابر): ثم قامت إليه طائفة، وهم السبئية، وكانوا أحد عشر رجلًا فقال: ارجعوا؛ فإني علي بن أبي طالب، أبي مشهور، وأمي مشهورة، وأنا ابن عم محمد ﷺ. فقالوا: لا نرجع دع داعيك، فأحرقهم في النار وقبورهم في صحراء أحد عشر مشهورة. فقال من بقي ممن لم يكشف رأسه منهم علينا: إنه إله، واحتجوا بقول ابن عباس: لا يعذب بالنار إلا خالقها.

روى البخاري[٢]: «أُتِيَ علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم».

وفي فتح الباري الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي: إن هاهنا قوماً على باب المسجد يدعون أنك ربهم. فدعاهم فقال لهم: ويلكم، ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا، وخالقنا، ورازقنا. فقال: ويلكم، إنما أنا عبد مثلكم آكل كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء، وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله ، وارجعوا. فأبوا.

فلما كان الغد غدوا عليه فجاء قنبر فقال: قد والله رجعوا فأبوا، فلما كان الغد غدوا عليه فجاء قنبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال:

---

(١) ثَمَّ: هناك.

(٢) ونصه في صحيح البخاري (برقم ٦٥٢٤): «أتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس رضي الله عنهما فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم، لنهي رسول اللّه ﷺ «لا تعذبوا بعذاب اللّه»، ولقتلتهم لقول رسول اللّه ﷺ: «من بدَّل دينه فاقتلوه».

أدخلهم. فقالوا كذلك.

فلما كان الثالث قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة. فأبوا إلا ذلك.

فقال: يا قنبر، ائتني بِفَعَلَةٍ معهم مرورهم[١] فَخُدَّ لهم أخدوداً بين باب المسجد والقصر، وقال: احفروا فأبعدوا في الأرض، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود، وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا فأبوا فقذف بهم حتى إذا احترقوا قال:

إني إذا رأيت أمراً منكراً أوقدت ناري ودعوت قنبرا

وقال ابن حجر في فتح الباري بعد هذه الرواية : هذا سند حسن.

وروى الكشي في كتابه «معرفة أخبار الرجال» بعد ترجمة عبد الله بن سبأ تحت عنوان: (في سبعين رجلًا من الزُّط الذين ادعوا الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام بسنده إلى جعفر أنه قال:

إن علياً عليه السلام لما فرغ من قتال أهل البصرة، أتاه سبعون رجلًا من الزط، فسلموا عليه وكلموه بلسانهم، فردَّ عليهم بلسانهم وقال لهم: إني لست كما قلتم، أنا عبد الله مخلوق. قال: فأبوا عليه وقالوا له: أنت أنت هو. فقال لهم: لئن لم ترجعوا عما قلتم فيَّ وتتوبوا إلى الله تعالى لأقتلنكم. قال: فأبوا أن يرجعوا أو يتوبوا، فأمر أن يحفر لهم آباراً فحفرت، ثم خرق بعضها إلى بعض، ثم قذفهم فيها، ثم طم رؤوسها ثم ألهب النار في بئر منها ليس فيها أحد، فدخل الدخان عليهم فماتوا.

---

(١) مرورهم: جمع مُرْ ، والمُرُّ: المسحاة.

الأباطيل المفتراة على عثمان رضي الله عنه والرد عليها

من الأباطيل التي رواها الكذابون وعدوها مآخذ على عثمان رضي الله عنه ما يأتي(١):

١- تركه القصاص من عبيد الله بن عمر في قتله للهرمزان (الذي أعطي السكين إلى أبي لؤلؤة، وحرضه على عمر حتى قتله).

٢- مخالفته من سبقه، ومن ذلك: إتمام الصلاة بمنى، واتخاذ الحمى، وجمع القرآن في مصحف واحد، وعلوه على درجة رسول الله ﷺ في المنبر.

٣- إيثاره أقرباؤه في جوانب منها: توليتهم، والأعطيات، ورد الحكم بعد أن نفاه الرسول ﷺ، فقد ولى معاوية، وعبد الله بن عامر بن كريز، ومروان والوليد بن عقبة وهو فاسق ليس من أهل الولاية، كما أنه أعطى مروان خمس إفريقية.

٤- معاملته ومعاقبته لبعض الصحابة رضي الله عنهم: فقد ضرب عمار بن ياسر حتى فتق أمعاءه، وابن مسعود حتى كسر أضلاعه ومنع عطاءه، وأجلى أبا ذر إلى الرَّبذة، وأخرج أبا الدرجاء من الشام.

٥- تغيبه عن بدر وبيعة الرضوان، وفراره يوم أحد، ويوم حنين.

وكل ذلك من الأباطيل التي لم تثبت سنداً ومتناً، وبيان ذلك على النحو الآتي:

---

(١) نوردها بتصرف من العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي، الصفحات ٦٤ - ١٤٧ .

١- فتركه القصاص من عبيد الله بن عمر رضي الله عنهما ، فلأن عثمان لا يرى على عبيد الله حقاً، لما ثبت عنده من حال الهرمزان وفعله، فقد قيل إن الهرمزان سعى في قتل عمر، وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه، ثم إن عثمان لم يقم بالقصاص والصحابة متوافرون، ولم يعترضوا عليه.

٢- وإتمامه الصلاة بمنى كان عن اجتهاد، وقد قال جماعة من العلماء: المسافر مخير بين القصر والإتمام فالقصر ليس بواجب، وأما اتخاذه الحمى، فإن الحمى كان قديماً وزاد فيه لزيادة الراعية وإذا جاز أصله للحاجة إليه جازت الزيادة فيه لزيادة الحاجة. وأما جمعه القرآن فتلك حسنته العظمى، وبفعله كان حسم مادة الخلاف، ونفوذ وعد الله بحفظ القرآن، وعلوه على درجة رسول الله في المنبر فلم يصح.

٣- وأما إيثار لأقربائه بتوليتهم، فإن لم يول إلا من وثق بدينه، وكان معروفاً بالصدق والأمانة والعلم والفطانة، وإعطاؤه لأقربائه كان من ماله الخاص صلة للرحم، وردُّ الحكم لم يصح.

وأما تولية معاوية فعمر ولاه، وجمع له الشامات كلها، وأقرَّه عثمان، بل إنما ولاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، لأنه ولى أخاه يزيداً، واستخلفه يزيد، فأقره عمر لتعلقه بولاية أبي بكر لأجل استخلاف واليه له، فتعلق عثمان بعمر وأقره، ومعاوية رضي الله عنه دعا له ﷺ فقال: «الله اجعله هادياً مهدياً واهد به»[(١)]، ولما أسلم أوصاه بالعدل إذا ولي، فكانت إشارة واضحة بأنه سيكون خليفة، وولاه رسول الله ﷺ كتابة الوحي بوحي من اللّه تعالى.

---

(١) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب.

وتولية عبد الله بن عامر فولاه لأنه كريم فاضل موثوق به عند الأكثرين فكيف لا يثق به عثمان.

وتولية مروان فولاه لأنه رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين، وتولية الوليد فولاه لأنه كان أهلًا، وقد قيل لعثمان: إنك وليت الوليد لأنه أخوك لأمك أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، فقال: بل لأنه ابن عمة رسول الله ﷺ أم حكيم البيضاء جدة عثمان وجدة الوليد لأمهما أروى المذكورة أم حكيم توأمة عبد الله أبي رسول اللّه ﷺ وأي حرج على المرء أن يولي أخاه أو قريبه؟

أما ما رواه بعض المفسرين بشأن الوليد من أن الله سماه فاسقاً في قوله: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ [الحجرات: ٦] فإنها - في قولهم - نزلت فيه، أرسله النبي ﷺ إلى بني المصطلق، فأخبر عنهم أنهم ارتدُّوا، فأرسل رسول الله ﷺ إليهم خالد بن الوليد فتثبت في أمرهم فبين بطلان قوله. وقد اختلف فيه، فقيل: نزلت في ذلك، وقيل: في علي والوليد في قصة أخرى. وقيل: إن الوليد سبق يوم الفتح في جملة الصبيان إلى رسول الله ﷺ فمسح رؤوسهم وبرّك عليهم، إلا هو فقال: إنه كان على رأسي خلوق، فامتنع ﷺ من مسه، فمن يكون في مثل هذه السن يُرسَل مصدِّقاً؟! وبهذا الاختلاف يُسقط العلماء الأحاديث القوية، وكيف يفسق رجل بمثل هذا الكلام؟ فكيف برجل من أصحاب محمد ﷺ؟!

أما إعطاؤه خُمس أفريقية لواحد فلم يصح. على أنه قد ذهب مالك وجماعة إلى أن الإمام يرى رأيه في الخمس، وينفذ فيه ما أداه إليه اجتهاده، وقد كان إعطاؤه لأقاربه من ماله كما أسلفنا صلة للرحم، وقد أعطى سيدنا

الحسن وسيدنا الحسين من ماله رضي الله عنه وعنهم، وكان الحسن والحسين يزورانه فيستقبلهما أحسن استقبال، ويقدم إليهما أعظم العطاء. وسأله أحد الصحابة عن هذا، فقال: أما إذا أعطيت الحسن والحسين فإنما أعطي أهل المدينة لأنهما سينفقان هذا المال على أهل المدينة.. رضي الله عنهم أجمعين.

وأما ضربه لعمار بن ياسر، ولابن مسعود، ومنعه العطاء فكله كذب. وأما نفيه أبا ذر إلى الربذة فلم يفعل، كان أبو ذر زاهداً، وكان يقرّع عمال عثمان، ويتلوا عليهم ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [التوبة: ٣٤]، ويراهم يتسعون في المراكب والملابس حين وَجدوا، فينكر ذلك عليهم، ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم، وهو غير لازم، قال ابن عمر وغيره من الصحابة: إن ما أديت زكاته فليس بكنز، فوقع بين أبي ذر ومعاوية كلام بالشام، فخرج إلى المدينة، فاجتمع إليه الناس، فجعل يسلك تلك الطرق، فقال له عثمان: «لو اعتزلت». معناه: إنك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس، فإن للخلطة شروطاً وللعزلة مثلها، ومن كان على طريق أبي ذر فحاله يقتضي أن ينفرد بنفسه، أو يخالط ويسلم لكل أحد حاله مما ليس بحرام في الشريعة، فخرج إلى الرَّبذة زاهداً فاضلًا.

٤- وأما انهزامه يوم حنين، وفراره يوم أحد، ومغيبه عن بدر وبيعة الرضوان، فقد بين عبد الله بن عمر رضي الله عنه وجه الحُكم في شأن البيعة وبدر وأحد. وأما يوم حنين فلم يبق إلا نفر يسير مع رسول الله ﷺ، ولكن لم يجر في الأمر تفسير من بقي ممن مضى في الصحيح، وإنما هي أقوال، منها أنه ما بقي معه إلا العباس وابناه عبد الله وقثم، فناهيك بهذا الاختلاف، وهو

أمر قد اشترك فيه الصحابة، وقد عفا الله عنه ورسوله، فلا يحلُّ ذكر ما أسقطه اللَّه ورسوله والمؤمنون.

أخرج البخاري من حديث عثمان بن عبد الله بن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر يريد حج البيت فرأى قوماً جلوساً، فقال: من هؤلاء القوم؟ قالوا: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر. قال: يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء فحدثني عنه، هل تعلم أن عثمان فرَّ يوم أحد؟ قال: نعم. فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهدها؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال: الله أكبر! قال ابن عمر: تعال أبين لك. أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له. وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه. وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعزّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول اللَّه ﷺ بيده اليمنى: «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده فقال: «هذه لعثمان». ثم قال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك.

* * *

الفصل الرابع
الخليفة الراشدي الرابع
علي بن أبي طالب رضي الله عنه

الخليفة الراشدي الرابع
علي بن أبي طالب رضي الله عنه

نسبه ومكانته:

هو عليُّ بنُ أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي، ابنُ عم النبي ﷺ، وزوجُ فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، بضعة سيد المرسلين رضي الله تعالى عنها، أحدُ العشرة المبشرين بالجنة.

ولد قبل البعثة بعشرة أعوام على الصحيح (الإصابة).

ولما كان أبوه (أبو طالب) قليل المال، كثير العيال، أراد النبي ﷺ أن يخفف عن عمه شيئاً من الأعباء، فطلب إلى عمه أن يعطيه علياً ليتربى في بيته، وأجابه أبو طالب إلى طلبه.

فنشأ علي منذَ صغره تحت سمع النبي وبصره، يستضيء بهديه، ويقبس من خلقه، ويتأدب بأدبه، ولم يفارقه.

وحينما كلف النبي ﷺ بالنبوة والرسالة كان أول من أسلم من الصبيان.

وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ وحينما دعا رسول الله ﷺ عشيرته الأقربين إلى الإسلام وقال لهم: أيكم يؤازرني وينصرني؟ وسكتوا جميعاً ولم يجيبوه، قام علي وقال: أنا يا رسول الله، أنا حرب على من حاربت.

شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ إلا غزوة تبوك، ولما قال المنافقون ما قالوا وتأثر علي رضي الله عنه من مقالتهم، قال له النبي ﷺ: «أما ترضى أن تكون

مني بمنزلة هارون من موسى»[١].

ولما آخى النبي ﷺ بين أصحابه قال لعلي: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»[٢]. وقال فيه أيضاً: «عليّ مني وأنا منه»[٣].

مناقبه كثيرة، حتى قال الإمام أحمد: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي رضي الله عنه وتتبع النسائي ما خص به من دون الصحابة فجمع من ذلك شيئاً كثيراً بأسانيد أكثرها جياد.

وفي ليلة الهجرة نام في فراش النبي ﷺ وتغطى ببردته.

ومن خصائصه ما ثبت في الصحيحين عن سلمة بن الأكوع أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأدفعن الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه».

فلما أصبح رسول الله ﷺ غدوا كلهم يرجو أن يعطاها. فقال رسول الله ﷺ: «أين علي بن أبي طالب؟» فقالوا: هو يشتكي عينيه. فأتي به فبصق في عينيه فدعا له فبرئ، فأعطاه الراية، (وفتح الله على يديه).

وفي صحيح مسلم: فقال عمر: ما أحببت الإمارة إلا ذلك اليوم.

وفي غزوة الأحزاب برز عمرو بن عبد ودٍّ العامري، وأخذ ينادي: من يبارز؟ ويتحدى المسلمين، فبرز علي رضي الله عنه وقتله (والقصة مشهورة).

وزاد مسلم من حديث إياس بن سلمة، عن أبيه في حديث خيبر، وخرج

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٤٠٤ .
(٢) رواه الحاكم في المستدرك برقم ٤٢٨٩ .
(٣) رواه أحمد في مسنده في مسند الشاميين.

مَرّحَب فقال:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرَّب
إذا الحروب أقبلت تَلَهَّبُ

فبرز له علي، وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدره[١] كليث غابات كريه المنظرة
أكيلهم بالسيف كيل السَّندرة[٢]

وضرب مرحباً ففلق رأسه وقتله، وكان الفتح.

وأخرج الترمذي، وأصله في مسلم، عن علي رضي الله عنه قال: لقد عهد إليَّ النبي ﷺ: «أن لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق».

كان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن.

وكان علي رضي الله عنه أحد رجال الشورى الذين نص عليهم عمر رضي الله عنه وهم: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم.

بيعة علي بالخلافة:

ونقل ابن خلدون اتفاق العصر الثاني من بعد الصحابة على انعقاد بيعة علي، ولزومها لجماعة المسلمين أجمعين.

وأول من بايع طلحة والزبير رضي الله عنهما.

---

(١) حيدرة: أسد، سمته أمه بذلك، ولما جاء أبوه سماه علياً، وقيل: لقب به في صغره؛ لأن الحيدرة الممتلئ لحماً مع عظم بطن، وكان كذلك اهـ.

(٢) السندرة: ضرب من الكيل غراف جراف.

قال علي لطلحة والزبير: إن شئتما بايعا، وإلا بايعتكما؟ قالا: بل نبايعك. اهـ (أبو الفداء).

وفي الطبري: قال علي: وُلِّيتُ وأنا كاره، ولولا خشية على الدين لم أجبهم.

ولكن المسلمين كانوا يدركون خطورة الوضع، والحاجة إلى تعيين خليفة يتولى أمر المسلمين فيجتمع إليه وجوه المهاجرين والأنصار، ويقسمون عليه، ويناشدونه في حفظ بقية الأمة، وصيانة دار الهجرة، فيدخل في ذلك بعد شدة مغلباً المصلحة. اهـ (الباقلاني في التمهيد).

وكان علي يتوخى أن تكون بيعته عن رضا وإجماع المسلمين، ولا سيما أهل السابقة وأصحاب الحل والعقد، فقد ذكر ابن حبان أن الناس هرعوا إلى علي بعد مقتل عثمان لمبايعته فقال: ليس ذلك إليكم، وإنما هو لأهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو الخليفة، فلم يبق أحد من هؤلاء إلا أتى إليه، فطلب أن تكون على ملأ من الناس، فخرج إلى المسجد فبايعوه.

ونقل ابن كثير: مبايعة الأنصار كلهم، وعدم تخلف أحد منهم عن البيعة. اهـ.

وفي الطبري (ج٤): فبعد أن استتب الأمر لعلي في البيعة خطب في الناس، وكان من جملة الأشياء التي أبانها: حرمات الله التي حرمها، ولا سيما حرمة المسلم، وأن المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، إلا بالحق، وأن أذى المسلم لا يحل إلا بما يجب.

أمر الأعراب أن يلتحقوا بمياههم، فأبت السبئية، وأطاعهم الأعراب.

أما معاوية ومن كان حوله من أهل الشام، فكان رأيهم أن يقتص من قتلة

عثمان أولًا، ثم يكون اختيار الخليفة من بعد ذلك، وندب معاوية الناس للأخذ بالثأر والقصاص من قتلة عثمان، وقام معه جماعة من الصحابة في هذا.

وأمْرُ طلحة والزبير ومن لحق بهما مهم جداً، يرويه لنا الطبري ص ١٧٦، ج٤:

اجتمع بعض الصحابة بسيدنا علي، وتحادثوا معه في شأن القاتلين:

قال علي رضي الله عنه : يا إخوتاه، إني لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم، ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا.

قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله، إن هذا الأمر أمر جاهلية، وإن لهؤلاء القوم مادة، وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط، فيبرح الأرضَ مَنْ أخذَ بها أبداً.

إن الناس من هذا الأمر (وكأنه يشير إلى القصاص من قتلة عثمان) إن حُرِّكَ على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا، حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها، وتؤخذ الحقوق، فاهدءوا عني، وانظروا ماذا يأتيكم، ثم عودوا.

لم يكن هذا مقنعاً لجميع من حضر الحوار، ولذلك قال بعضهم:

نقضي الذي علينا ولا نؤخره، والله إن علياً لمستغن برأيه عنا.

موقف علي رضي الله عنه واضح: تنزله لرأيهم، وإقناعهم عملياً بأنه لا يستطيع

هو وإياهم أن يصنعوا شيئاً.

رأي طلحة: أن يأتي بأهل البصرة.

رأي الزبير: أن يأتي بأهل الكوفة.

طلب علي: الإمهال.

على إثر ذلك خرج طلحة والزبير والسيدة عائشة رضي الله عنهم إلى البصرة وكانت معركة الجمل كما سيأتي.

* * *

معركة الجمل

خرج طلحة والزبير إلى مكة والتقيا بالسيدة عائشة رضي الله عنها ثم ساروا جميعاً إلى البصرة.

والأمر الجامع لهؤلاء شعورهم بالتفريط في حق عثمان، ولما سئل طلحة والزبير وأم المؤمنين عن سبب مسيرهم ذكروا أنهم خرجوا غضباً لعثمان، وتوبة مما صنعوا من خذلانه. ونادى مناديهم: إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة، فمن كان يريد إعزاز الإسلام وقتال المحلِّين والطلب بثأر عثمان فليخرج، ومن لم يكن عنده مركب أو جهاز، فهذا جهاز، وهذه نفقة، فحملوا ستمائة رجل على ستمائة ناقة، سوى من كان له مركب.

وساروا حتى نزلوا بالزابوقة، فخرج إليهم والي البصرة عثمان بن حنيف (أنصاري أوسي) فتواقفوا حتى زالت الشمس ثم اصطلحوا، وكتبوا بينهم كتاباً بالكف عن القتال، ولعثمان دار الإمارة والمسجد وبيت الملأ والكلأ، وأن ينزل طلحة والزبير من البصرة حيث شاءوا، ولا يعرض بعضهم لبعض حتى يقدم علي.

وفي الزابوقة جاء حكيم بن جبلة العبدي في سبعمائة من بني عبد القيس وبكر بن وائل فاقتتلوا، وقتلوا حكيماً فيمن قتل.

ويلخص سليمان العودة (في كتابه عبد اللّه بن سبأ) أن عاملين أساسيين كان لهما الأثر في خروج طلحة والزبير وأم المؤمنين إلى البصرة:

أحدهما: شعورهم بالتقصير في حق عثمان، فخرجوا يطلبون دمه بدون

إذن أمير المؤمنين علي، لا سيما وأنهم رأوا قتلة عثمان في جيش علي، وصاروا من رءوس الملأ، وكان طلحة يقول: اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى... إلخ.

وكان رضي الله عنه يؤكد طلبهم هذا؛ فقد سأله أحد الأفراد: ألا ترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم؟ قال: نعم. ثم يقول له: وترى لك حجة بتأخيرك ذلك؟ فيقول: نعم.

والآخر: قصد الصلح، وتصرح عائشة رضي الله عنها بذلك في أخبار صحيحة، والزبير وطلحة كذلك:

١- نقل ابن شهاب الزهري عن عائشة قولها: إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال، ولو علمت ذلك لم أقف ذلكم الموقف أبداً[١].

٢- ويؤكد ابن العربي في العواصم من القواصم على هذا المعنى فيقول: وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب، ولكن تعلق الناس بها، وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة، وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح، وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت إلى الخلق، وظنت هي ذلك، فخرجت مقتدية بأمر الله تعالى في قوله: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

٣- ثم تتجهز للخروج إلى البصرة، وتمر في طريقها بالحوأب، فتسمع

(١) المغازي النبوية، ص١٥٤ .

كلاب الحوأب فتقول: ما أظن إلا أني راجعة، إن رسول الله ﷺ قال: «أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب؟» فيقول لها الزبير: ترجعين عَلَّ الله أن يصلح بك بين الناس[1].

٤- وفي الطبري: ولما قدمت البصرة بلغ عثمان بن حنيف (والي البصرة من قِبَل علي رضي الله عنه) قدومُها ومن معها، أرسل إليها من يأتيه بخبرها وسبب خروجها، فكان من جوابها (كلام طويل) وقرأت ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] ننهض في الإصلاح، ونكون ممن أمر الله عز وجل وأمر رسوله ﷺ به الصغير والكبير، والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به، ونحضكم عليه، ومنكر ننهاكم عنه، ونحثكم على تغييره. اهـ.

٥- وحينما قابلها علي وسألها غفر الله لكِ فقالت: ولكَ ما أردت إلا الإصلاح.

٦- ولما انتدب القعقاع للإصلاح سألها عن سبب خروجها فأجابت: الإصلاح بين الناس[2].

وكذلك طلحة والزبير، ومن معهم خرجوا للإصلاح.

وقد أخرج البيهقي أن علياً رضي الله عنه لما دنا هو وأصحابه من طلحة والزبير، نادى الزبير، فجاء إليه، فذكره حديث رسول الله ﷺ مخاطباً له: لتقاتلنه وأنت ظالم له، فذكره الزبير وقال: لقد نسيته، ثم عزم على الرجوع،

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٢٣٧)، والحديث بهذا اللفظ رواه أحمد في مسنده، وأخرجه الحاكم بنحوه.

(٢) الطبري ج٤، ص١٨٢ -١٨٤-١٨٦ .

فعرض له ابنه عبد الله فقال: مالك؟ قال: ذكرني علي حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ وإني راجع. فقال له ابنه: وهل جئت للقتال؟ إنما جئت لتصلح بين الناس، ويصلح الله هذا الأمر.

ويقول أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم :

ويمكن أنهم خرجوا في جمع طوائف المسلمين، وضم نشرهم، وردهم إلى قانون واحد، حتى لا يضطربوا فيقتتلوا، وهذا هو الصحيح، لا شيء سواه، وبذلك وردت صحاح الأخبار.

وكذلك علي رضي الله عنه ومن كان على رأيه من جيشه، لم يكن يهدف بمسيره إليهم إلا الإصلاح، وجمع الكلمة.

وما ذكر من أن علياً استنفر الكوفة بعمار بن ياسر وابنه الحسن، وأن عماراً قال: إن عائشة قد سارت إلى البصرة، ووالله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي، فهذا مبني على دس السبئيين أنها خرجت للحرب هي وطلحة والزبير، ولذلك خرج علي رضي الله عنه بمن قدم معه من المدينة ومن أهل الكوفة إلى البصرة، وهم زهاء عشرة آلاف.

والذي يتأمل الأخبار الصحيحة التالية، يتضح له موقف الخليفة الراشدي الإمام علي رضي الله عنه :

١- في الطبري «لما خرج علي إلى البصرة قام له ابن لرفاعة بن رافع فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال علي: أما الذي نريد وننوي الإصلاح، إن قبلوا منا، وأجابونا إليه».

٢- وفي الطبري أيضاً: «ولما قدم على علي ﷺ عامر بن مطر الشيباني، قادماً من الكوفة، سأله علي عما وراءه فأخبره، ثم سأله عن أبي موسى ﷺ فقال: إن أردت الصلح فأبو موسى أهل لذلك، وإن أردت القتال فهو ليس بصاحب ذاك. فقال عليّ عند ذلك: والله ما أريد إلا الإصلاح حتى يرد علينا».

وفي الثقات: أن عائشة ﷺ كتبت إلى أبي موسى وهو بالكوفة: «إنه كان من أمر عثمان ما قد علمت، وقد خَرَجْتُ مُصلحة بين الناس، فَمُرْ مَنْ قِبَلَكُم بالقرار في منازلهم، والرضا بالعافية، حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين».

٣- وكان الحسن بن علي ﷺ يقسم: «والله ما أردنا إلا الإصلاح».

٤- وأهل البصرة اجتمعوا إلى علي ﷺ فحاول صلحهم واجتماع الكلمة، فسعى الساعون بذلك.

وإن من أكبر العلامات على أن علياً وأم المؤمنين وطلحة والزبير يريدون الإصلاح ما أورده الطبري وابن كثير من خبر القعقاع: «بعث علي القعقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة ﷺ فقال: أي أماه، ما أقدمك هذا البلد؟ فقالت: أي بني، الإصلاح بين الناس.

فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها، فحضرا، فقال القعقاع: إني سألت أم المؤمنين ما أقدمها؟ فقالت: الإصلاح. فقالا: ونحن كذلك.

قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ وعلى أي شيء يكون؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلحن، ولئن أنكرناه لا نصطلحن. قالا: قتلة عثمان، فإن هذا إن

ترك كان تركاً للقرآن. فقال: قتلتما قتلته من أهل البصرة، وأنتم قبل قتلكم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم. قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة آلاف... - يعني: أن الذي تريدونه من قتل قتلة عثمان مصلحة، ولكنه يترتب عليه مفسدة هي أربى منها - ... فعليٌ أعذر في تركه الآن قتل قتلة عثمان، وإنما أَخَّر قتل قتلة عثمان إلى أن يتمكن منهم، فإن الكلمة في جميع الأمصار مختلفة...

فقالت له عائشة أم المؤمنين: فماذا تقول أنت؟ قال: «أقول: إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولًا، ولا تُعرِّضونا للبلاء، ولا تعرَّضوا له، فيصرعنا الله وإياكم».

وبعد أن فرغ القعقاع من كلامه قالوا: «قد أصبت وأحسنت فارجع، فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح الأمر».

فرجع إلى علي رضي الله عنه وعنهم فأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح كره ذلك من كرهه، ورضيه من رضيه»[١].

بات المسلمون بخير ليلة.

وبات الذين يكرهون الصلح بشر ليلة، وهم:

عبد الله بن سبأ وجماعته، وكان في عسكر علي رضي الله عنه من أولئك الطغام الذين خرجوا على عثمان وقتلوه، ومنهم من لم يعرف نسبه، ومنهم من تنتصر له قبيلته، ومنهم من لم تقم له حجة بما فعله، ومنهم من كان في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله.

---

(١) البداية والنهاية ٧: ٢٦٦، الطبري ٤/ ٤٩٣ .

والخلاصة: أعداء الصلح: قسم كفرة زنادقة مدسوسون على الإسلام، وقسم مخدوعون بالدسائس، وقسم ينتصرون لهم عصبية.

وفي الطبري: اجتمع أعداء الإصلاح، وابن سبأ المشير فيهم كالشيخ النجدي، وقال أحدهم: اصطلحوا على دمائنا فليس لنا إلا نلحق علياً بعثمان.

فاعترض ابن سبأ وقال: بئس ما رأيت. لو قتلناه قتلنا، وهم إنما يريدوننا، فقام آخر وقال: بل دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد فنمتنع بها فرد عليه ابن سبأ وقال: إذن يتخطفكم الناس.

وأخيراً كان الرأي لابن سبأ حيث قال: «إن عزكم في خلطة الناس، فصانعوهم، وإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر، فإذا من أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع، ويشتغل عليٌّ وطلحة والزبير، ومن رأى رأيهم عما تكرهون».

فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه، والناس لا يشعرون. اهـ. [١].

وقدم عليٌّ البصرة، وتدانوا ليتراءوا، الخميس في النصف من جمادى الآخرة سنة ٣٦ هـ[٢].

قال أبو بكر بن العربي: وكان الصحابي الجليل القعقاع بن عمرو التميمي قد قام بين الفريقين بالوساطة الحكيمة المعقولة، فاستجاب له الطرفان.

فبعث علي إلى طلحة والزبير يقول: «إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع ابن عمرو فكفوا، حتى ننزل فننظر في هذا الأمر». فأرسلا إليه: «إنا على ما

(١) الطبري ٥: ٢٠٢ - ٢٠٣ .
(٢) الطبري ٥: ١٩٩ .

فارقنا عليه القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس».

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٧: ٢٣٩ : فاطمأنت النفوس وسكنت، واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين، فلما أمسوا بعث عليٌّ عبد الله بن عباس إليهم، وبعثوا محمد بن طلحة السَّجَّاد إلى علي، وعولوا جميعاً على الصلح، وباتوا بخير ليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية، وبات الذين أثاروا الفتنة على عثمان بشر ليلة ما باتوها قط، قد أشرفوا على الهلكة، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب في السر، واستسروا بذلك خشية أن يفطن بما حاولوا من الشر، فغدوا من الغلس، وما يشعر بهم جيرانهم، انسلوا إلى ذلك الأمر انسلالًا[١].

وهكذا أنشبوا الحرب بين علي وأخويه طلحة والزبير، فظن أصحاب الجمل[٢] أن علياً غدر بهم، وظن أن إخوانه غدروا به، وكل منهم أتقى لله من أن يفعل ذلك في الجاهلية، فكيف بعد أن بلغوا أعلى المنازل من أخلاق القرآن.

أعداء الصلح بادروا بإراقة الدماء واشتجرت الحرب، وكثرت الغوغاء.

وفي فتح الباري: «إن الذين خشوا أن يصطلح الفريقان على قتلهم بادروا فأنشبوا الحرب فيما بينهم حتى كان ما كان».

ينادي طلحة: أيها الناس، هل تنصتون؟ فجعلوا يركبونه ولا ينصتون. وقتل طلحة.

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٠٢-٢٠٣ ومنهاج السنة ٢: ١٨٥ و ٣: ٢٢٥ و ٢٤١ .

(٢) أصحاب الجمل: طلحة والزبير والسيدة عائشة، وسبب التسمية أن السيدة عائشة كانت على جمل، فسميت المعركة كلها باسم معركة الجمل.

ثم خرج الزبير لما عجز عن الفصل بين الناس من المعركة، ووقف يصلي ويلتجئ إلى الله، فقتل في الصلاة، قتله ابن جرموز، وجاء يقول للإمام علي رضي الله عنه: أبشر برأس الزبير فيجيبه أمير المؤمنين: أبشر بالنار؛ لأن النبي ﷺ قال: «بشر قاتل ابن صفية في النار»[١].

وسيدنا علي يناشد الناس ولا مجيب.

قال الحافظ ابن عساكر ٧: ٨٥ في ترجمة طلحة:

«وقالت عائشة لكعب بن سور الأزدي (وهو أول قضاة المسلمين على البصرة ولاه أمير المؤمنين عمر. قال الحافظ ابن عبد البر: كان مسلماً في زمن النبي ﷺ لكنه لم يره): خَلِّ يا كعب عن البعير، وتقدم بكتاب الله فادعهم إليه، ودفعت إليه مصحفاً، وأقبل القوم وأمامهم السبئية يخافون أن يجري الصلح، فاستقبلهم كعب بالمصحف، وعلي رضي الله عنه من خلفهم يَزَعُهُمْ ويأبون إلا إقداماً، فلما دعاهم كعب رشقوه رشقاً واحداً فقتلوه، ثم راموا أم المؤمنين. . .

فكان أول شيء أحدثته حين أبوا أن قالت: «يا أيها الناس، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم وأقبلت تدعو، وضجَّ أهل البصرة بالدعاء، وسمع علي الدعاء فقال: ما هذه الضجة؟ فقالوا: عائشة تدعوا ويدعو الناس معها على قتلة عثمان وأشياعهم، فأقبل علي يدعو وهو يقول: اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم» اهـ كلام ابن عساكر.

قال محب الدين الخطيب: وهكذا اشترك صالحو الفريقين في لعن قتلة

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك.

أمير المؤمنين عثمان الشهيد المظلوم في الساعة التي كان فيه قتلة عثمان ينشبون الحرب بين صالح المسلمين. اهـ.

وقال الطحاوي: (وحدثت المعركة على غير اختيار من علي ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين). اهـ.

ونقل الحافظ ابن عساكر ٧: ٨٦-٨٧ قول الشعبي:

(رأى علي بن أبي طالب طلحة ملقى في بعض الأودية، فنزل فمسح التراب عن وجهه ثم قال: «عزيز علي أبا محمد أن أراك مجدلًا في الأودية وتحت نجوم السماء، إلى الله أشكو عُجَرِي وبُجَرِي»[1] وقال: ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة).

وقال أبو حبيبة مولى طلحة: دخلت أنا وعمران بن طلحة على علي بعد الجمل، فرحب بعمران وأدناه وقال: «إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، وكان الحارث الأعور[2] جالساً في ناحية فقال: «الله أعدل من أن نقتلهم ويكونوا إخواننا في الجنة».

فقال له علي رضي الله عنه : «قم إلى أبعد أرض الله وأسحقها، فمن هو ذا إن لم أكن أنا وطلحة في الجنة؟».

وذكر محمد بن علي رضي الله عنه أن علياً تناول دواة فحذف بها الأعور يريده بها فأخطأه.

---

(١) قال الأصمعي: أي سرائري وأحزاني التي تجول في جوفي.

(٢) شيعي قال عنه الشعبي وابن المديني: كذاب.

وقال له ابن الكوا (من رؤوس الفتنة على عثمان وبعد صفين والتحكيم كان على رأس الخوارج على علي، فلما حاجهم علي وابن عباس رجع إلى علي قبل وقعة النهروان): «الله أعدل من ذلك» فقام إليه علي بدرة فضربه وقال له: «أنت - لا أم لك - وأصحابك تنكرون هذا؟».

قال أبو بكر بن العربي: «ومعلوم أنه عند الفتنة، وفي ملحمة القتال، يتمكن أولو الإحن والأحقاد، من حل العرى ونقض العهود، وكانت آجالًا حضرت، ومواعيد انتجزت اهـ. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولعل الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، وتكون بينهما مقتلة عظيمة، ودعواهما واحدة» ينطبق على هذه الحرب (فتنة الجمل) وقد قتل فيها عدد كبير من الطرفين، وفيهم كثير من الصحابة الكرام، وكانت السيدة عائشة إذا قرأت ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] تبكي حتى تبل خمارها[١].

* * *

(١) رواه الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢/ ١٧٨ .

معركة صفين

صِفِّين قرب الرقة على شاطئ الفرات آخر تخوم العراق، وأول أرض الشام.

لما انتهى عليٌّ رضي الله عنه من معركة الجمل وسار من البصرة إلى الكوفة فدخلها يوم الاثنين ١٢ رجب ٣٦ هـ أرسل جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه إلى معاوية رضي الله عنه في دمشق يدعوه إلى طاعته، فجمع معاوية رءوس الصحابة، وقادة الجيوس، وأعيان أهل الشام واستشارهم فيما يطلب علي رضي الله عنه فقالوا: لا نبايعه حتى يقتل قتلة عثمان، أو يسلمهم إلينا.

فرجع جرير إلى علي بذلك.

فاستخلف عليٌّ على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عامر، وخرج منها فعسكر بالنخيلة أول طريق الشام إلى العراق، وقد أشار عليه ناس بأن يبقى في الكوفة، ويبعث غيره إلى الشام فأبى.

وبلغ معاوية أن علياً تجهَّز وخرج بنفسه لقتاله، فأشار عليه رجاله أن يخرج هو أيضاً بنفسه، فخرج الشاميون نحو الفرات من ناحية صفين، وتقدم عليٌّ رضي الله عنه بجيوشه إلى تلك الجهة، وذلك في أواخر ذي القعدة ٣٦ هـ.

وبدأ القتال في ذي الحجة بمناوشات ومبارزات.

ثم تهادنوا في المحرم سنة ٣٧ هـ.

واستؤنف القتال بعده، وقتل في هذه الحرب سبعون ألفاً، وكانت الوقائع تسعين وقعة في عشرة أيام.

وامتازت هذه الحرب بنبل الشجاعة في القتال، ونبل الاتصال عند التهادن والراحة، ثم كتب التحكيم يوم ١٣ صفر ٣٧ هـ، على أن يعلن الحكمان حكمهما في رمضان بدومة الجندل، بمكان منها اسمه أذرح.

موقف معاوية ومن معه من علي بسبب ما أحاط بيعته من غموض وظروف الفتنة وكون المدينة تحت سلطة المجرمين واحتلالهم.

ووجود قتلة عثمان رضي الله عنه في معسكر علي، حقيقة لا يماري فيها أحد بل إن الأشتر، وهو من رءوس البغاة على عثمان رضي الله عنه ، كان أكبر مسعر للحرب بين أصحاب رسول الله ﷺ الذين في معسكر علي رضي الله عنه والذين في معسكر معاوية.

فمعاوية ومن معه من الصحابة رضوان الله عليهم، ومن التابعين يطالبون علياً بالقصاص من قتلة عثمان وإقامة حد الله عليهم، أو أن يسلمهم إليهم فيقيموا عليهم حد الله.

وسيدنا علي رضي الله عنه موقفه واضح من قتلة عثمان، إنهم يسيطرون على زمام الأمر في المدينة، وفي حالة الإرهاب السائدة يومئذ لم يكن باستطاعة علي ولا غيره القصاص منهم.

ولما انتقل علي من المدينة إلى العراق، أصبحوا في معقل قوتهم وعنجهية قبائلهم، ولا شك أن عليًا أعلن البراءة منهم، ولكنه يرى أن قتلهم يفتح عليه باباً لا يستطيع سده بعد ذلك.

وقد انتبه لذلك الصحابي الجليل القعقاع بن عمرو التميمي وتحدث بها مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وصاحبي رسول الله ﷺ طلحة والزبير رضي الله عنهما فأذعنوا له، وعذروا عليًا رضي الله عنه ، ووافقوا على التفاهم معه على ما يوصلهم

إلى الخروج من هذه الفتنة فما لبث قتلة عثمان أن أنشبوا الحرب بين الفريقين.

فالمطالبون بإقامة حد الله على قتلة عثمان معذورون؛ لأنهم يطالبون بحق سواء كانوا من أصحاب الجمل أو من أهل الشام، وتقصير علي في إقامة حد الله كان عن ضرورة قائمة ومعلومة.

ولكن إذا كانت حرب البصرة ناشئة عن إنشاب قتلة عثمان الحرب بين الفريقين الأولين فقد كان من مصلحة الإسلام أن لا تنشب حرب صفين بين الفريقين الآخرين.

وقد اخترعت كتب ورسائل على لسان معاوية موجهة لسيدنا علي رضي الله عنه أهاجت الفتنة ودفعته إلى الحرب.

ولو أن عليًّا رضي الله عنه لم يتحرك من الكوفة استعداداً لهذا القتال، لما حرك معاوية ساكناً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1]: ولم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداء بل كان من أشد الناس حرصاً على أن لا يكون قتال وكان غيره أحرص على القتال منه، وقتال صفين للناس فيه أقوال:

١- كلاهما كان مجتهداً مصيباً، كما يقول ذلك كثير من أهل الكلام والفقه والحديث ممن يقول: كل مجتهد مصيب، ويقول هؤلاء: (كانا مجتهدين). وهذا قول كثير من الأشعرية ومن أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم. اهـ مختصراً.

---

(١) منهاج السنة ٢: ٢١٩ - ٢٢٠ .

٢- المصيب أحدهما لا بعينه،وهذا وقول طائفة منهم.

٣- علي هو المصيب وحده ومعاوية مجتهد مخطئ، وهو قول طوائف من أهل الكلام والفقهاء أهل المذاهب الأربعة.

٤- كان الصواب أن لا يكون قتال، وكان ترك القتال خيراً للطائفتين، فليس في الاقتتال صواب، ولكنْ عليٌّ أقرب إلى الحق من معاوية، والقتال قتال فتنة ليس بواجب ولا مستحب، وهذا قول أحمد وأكثر أهل الحديث وأكثر أئمة الفقهاء، وقول أكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان وهو قول عمران بن حصين ﵁ وكان ينهى عن بيع السلاح في ذلك القتال، ويقول: هو بيع السلاح في الفتنة، وهو قول أسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة، وابن عمر وسعد بن أبي وقاص، وأكثر من بقي من السابقين الأولين والمهاجرين والأنصار ﵃.

ثم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ولهذا كان من مذهب أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة فإنه قد ثبتت فضائلهم ووجبت موالاتهم ومحبتهم.

وقال أبو بكر بن العربي: والذي تُثْلج به صدوركم أن النبي ﷺ ذكر في الفتن وأشار وبيَّن وأنذر بالخوارج، وقال: «تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق» فبين أن كل طائفة منهما تتعلق بالحق، ولكن طائفة علي أدنى إليه (وأصل الحديث في مسلم من حديث أبي سعيد الخدري: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق».

وقال محب الدين الخطيب: أهل السنة المحمدية يدينون لله على أن علياً ومعاوية ومن معهما من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا جميعاً من أهل الحق،

وكانوا مخلصين في ذلك، والذين اختلفوا فيه إنما اختلفوا عن اجتهاد، كما يختلف المجتهدون في كل ما يختلفون فيه وهم لإخلاصهم في اجتهادهم - مثابون عليه في حالتي الإصابة والخطأ- وثواب المصيب أضعاف ثواب المخطئ، وليس بعد رسول الله ﷺ بشر معصوم عن أن يخطئ وقد يخطئ بعضهم في أمور ويصيب في أخرى، وكذلك الآخرون.

وأما من مرق عن الحق في إثارة الفتنة الأولى على عثمان، فلا يعد من إحدى الطائفتين اللتين على الحق، وإن قاتل معها والتحق بها؛ لأن الذين تلوثت أيديهم ونياتهم وقلوبهم بالبغي الظالم على عثمان -كائناً من كانوا- استحقوا إقامة الحد الشرعي عليهم، سواء استطاع ولي الأمر أن يقيم عليهم هذا الحد أو لم يستطع. وفي حالة عدم استطاعته فإن مواصلتهم تسعير القتال بين صالحي المسلمين كلما أحسوا منهم بالعزم على الإصلاح والتآخي، كما فعلوا في وقعة الجمل وبعدها يُعَدُّ إصراراً منهم على الاستمرار في الإجرام ما داموا على ذلك.

وإذا قلنا إن الطائفتين كانتا على الحق، فإنما نريد أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا في الطائفتين ومن سار معهم على سنته ﷺ من التابعين.

ونرى أن عليًا هو المبشر بالجنة أعلى مقاماً عند الله من معاوية خال المؤمنين وصاحب رسول رب العالمين، وكلاهما من أهل الخير، وإذا اندس فيهم طوائف من أهل الشر فإن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

وقال أبو بكر بن العربي: وقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ

﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، فلم يخرجهم عن الإيمان البغي والتأويل، ولا سلبهم اسم الأخوة، وقال ﷺ في عمار: «تقتله الفئة الباغية» رواه الحاكم في المستدرك.

وقال: وقد كان معاوية يعرف من نفسه أنه لم يكن منه البغي في حرب صفين؛ لأنه لم يردها ولم يبتدئها، ولم يأت لها إلا بعد أن خرج علي من الكوفة وضرب معسكره في النخيلة ليسير إلى الشام، ولذلك لما قتل عمار قال معاوية: إنما قتله من أخرجه.

ويقول محب الدين الخطيب: وفي اعتقادي الشخصي أن كل من قتل من المسلمين بأيدي المسلمين منذ قتل عثمان، فإنما إثمه على قتلة عثمان؛ لأنهم فتحوا باب الفتنة، ولأنهم واصلوا تسعير نارها، ولأنهم الذين أوغروا صدور المسلمين بعضهم على بعض، فكما كانوا قتلة عثمان فإنهم كانوا القاتلين لكل من قتل بعده، ومنهم عمار، ومنهم من هو أفضل من عمار كطلحة والزبير، إلى أن انتهت فتنتهم بقتلهم عليًا نفسه، وقد كانوا من جنده وفي الطائفة التي كان قائماً عليها.

فالحديث من أعلام النبوة، والطائفتان المتقاتلتان في صفين كانتا طائفتين من المؤمنين وعليٌّ أفضل من معاوية، وعليٌّ ومعاوية من أصحاب رسول الله ﷺ ومن دعائم دولة الإسلام وكل ما وقع من الفتنة فإثمه على مؤرثي نارها؛ لأنهم السبب الأول فيها فهم الفئة الباغية التي قتل بسببها كل مقتول في وقعتي الجمل وصفين، وما تفرع عنهما.

وقال بعضهم: الفئة الباغية بالإجماع هي الفئة السبئية، وهم قتلوا عماراً مع كونه في صفهم ليقيموا بذلك حجة على المسلمين.

فضل أهل الشام:

قال ابن الكوا أحد زعماء الفتنة، وهو يصف أشياعه في الأمصار الكبرى:

«وأما أهل الأحداث من أهل الشام فأطوع الناس لمرشدهم وأعصاهم لمغويهم». هذه شهادة ابن الكوا في أهل الأحداث في الشام، فإن أهل العافية والإيمان منهم قد شهد لهم أمير المؤمنين علي فيما نقله ابن كثير في البداية والنهاية ٨: ٢٠ عن عبد الرزاق بن همام الصنعاني، أحد الأئمة الأعلام الحفاظ عن شيخه معمر بن راشد البصري، وهو أيضاً من الأعلام، عن الزهري مدون السنة وشيخ الأئمة، أن عبد الله بن صفوان الجمحي قال: قال رجل من صفين: اللهم العن أهل الشام. فقال له علي: لا تسب أهل الشام؛ فإن بها الأبدال، فإن بها الأبدال، فإن بها الأبدال. وروي هذا الحديث مرفوعاً من وجه آخر. اهـ من البداية والنهاية لابن كثير

وروى أبو إدريس الخولاني، وهو من أعلام حملة السنة والشريعة، ومن شيوخ الحسن البصري، وابن سيرين ومكحول وأضرابهم، أن أبا الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا نائم رأيت الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري، فعمد به إلى الشام، وإن الإيمان حين تقع الفتنة بالشام». وروى هذا الحديث من الصحابة أبو أمامة، وعبد الله بن عمرو بن العاص[1].

(١) روي بألفاظ متقاربة في مسند الإمام أحمد، وفي مجمع الزوائد وقال الحافظ الهيثمي فيه: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عامر الأنطاكي وهو ثقة، وذكره ابن حجر في الفتح بلفظ قريب وقال: الحديث وسنده صحيح.

قصة التحكيم:

معركة صفين تسيطر عليها آداب الإسلام: معاوية يعترف بفضل علي ويقدمه على نفسه، وصرح بذلك كثيراً، وهذا هو الظن به رضي الله عنه ، ولكنه يشترط القصاص من قتلة عثمان حتى يبايع علياً بالخلافة.

وسيدنا علي رضي الله عنه يرى أن معاوية ومن معه يجب أن يخضعوا للخليفة ويتعاونوا معه على تحقيق حكم الله، وقد قال عمرو بن العاص رضي الله عنه عنه يومئذ (ليس من النَّصَف أن نكون ريَّانيين وهم عطاش).

وقد تمثلت آداب الحرب في الإسلام في هذه المعركة: (لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً، ولا تدخلوا داراً إلا بإذن، ولا تهيجوا امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعاف القوى والأنفس). وتقف الحرب مساءً في الليل، وعند سماع الأذان.

خاف المسلمون أن يفني المسلمون بعضهم بعضاً، فتمنوا ما ينقذهم ويوقف القتال، وكان عمرو بن العاص يفكر ملياً بذلك حتى اهتدى إلى فكرة التحكيم ليوقف تلك المقتلة الكبرى، عند ذلك أبدى الفكرة لمعاوية رضي الله عنه ، ففرح بها ورفع جيش الشام المصاحف، فهاب جيش علي قتالهم، وتوقف القتال، والحمد لله.

واختار علي ومن معه أبا موسى الأشعري، واختار معاوية ومن معه عمرو ابن العاص، وسبب اختيار أبي موسى لفقهه وحرصه على الإصلاح، وكان قد اعتزل الناس بعيداً عن الفتنة تقياً ثقفاً فقيهاً عالماً، أرسله النبي ﷺ إلى اليمن مع معاذ وقدمه عمر، وأثنى عليه بالفهم.

ولما اجتمع الحكمان اتفقا على إبقاء عليٍّ على ما بيده وإبقاء معاوية أيضاً على ما بيده، واتفقا على خلع علي ورد الأمر إلى الموجودين على قيد الحياة من أعيان الصحابة، الذين توفي ﷺ وهو عنهم راض.

واتفاق الحكمين على ذلك لا يتناول معاوية؛ لأنه ليس بخليفة، ولم يقاتل على الخلافة، وإنما كان يطالب بإقامة الحد الشرعي على الذين اشتركوا في قتل عثمان، وخلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن علي رضي الله عنهما.

فعمرو لم يغالط أبا موسى ولم يخدعه؛ لأنه لم يعط معاوية شيئاً جديداً، ولم يقرر في التحكيم غير الذي قرره أبو موسى من قبل، فبقيت الحجاز والشام بيد معاوية ومصر أيضاً، وبقيت العراق بيد علي رضي الله عنه.

وتعلقت الإمامة بما سيكون عليه اتفاق أعيان الصحابة عليها.

وإذا كانت هذه الخطوة الثانية لم تتم فما في ذلك تقصير من أبي موسى ولا من عمرو، فهما قد قاما بمهمتهما بحسب ما أدى إليه اجتهادهما واقتناعهما، ولو لم تكلفهما الطائفتان معاً بأداء هذه المهمة لما تعرضا لها ولا أبديا رأياً فيها.

وقصة التحكيم على ما تروى كذب صراح ما جرى منه حرف واحد (من وضع المبتدعة)[1].

وذكر الدارقطني بسنده إلى حضين بن المنذر وهو من خواص علي رضي الله عنه الذين حاربوا معه:

---

(١) العواصم من القواصم، ص ١٧٨ .

لما عزل عمرو معاويةَ (يقصد منها ما يذكر بعد) جاء حضين فضرب فسطاطه قريباً من فسطاط معاوية، فبلغ نبأه معاوية فأرسل إليه فقال: إنه بلغني عن عمرو كذا وكذا، فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني عنه. فأتيته فقلت: أخبرني عن الأمر الذي وُلِّيتَ أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس في ذلك ما قالوا، والله ما كان الأمر على ما قالوا، ولكن قلت لأبي موسى: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. قلت: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ فقال: إن يُسْتَعن بكما ففيكما معونة، وإن يُسْتَغْنَ عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما. قال: فكانت هي التي فتل معاوية منها نفسه[١].

* * *

(١) العواصم من القواصم، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

الخوارج والقضاء عليهم في يوم النهروان

هم الذين خرجوا على علي بعد قبوله التحكيم، وكانوا من شيعته الذين اشتركوا معه في موقعة الجمل ومعركة صفين، فلما قبل علي التحكيم تمردوا عليه، وخرجوا عن طاعته.

كان الخوارج من أخطر الأعداء الذين واجههم علي رضي الله عنه في حياته، ولم تكن خطورتهم في كثرة عددهم، إذ كانوا قلة ضئيلة، وإنما كانت الخطورة في مفاجأتهم لعلي بالعداء، وهم الذين خاضوا معه موقعة الجمل وموقعة صفين، وكانت الخطورة في خروجهم عليه في وقت عصيب، وهو الوقت الذي انتهت فيه موقعة صفين، وظن علي وبقية جيشه أن هناك فترة سلام طويلة ستظلل المجتمع الإسلامي.

وكان من العجب أن الحجة التي تذرعوا بها في الخروج على علي، هي قبوله التحكيم مع أنهم كانوا موافقين على قبوله بل متحمسين له.

وأعجب من ذلك أنهم يُكَفِّرون عليًا؛ لأنه حكَّم فيهم الرجال، وهم على حد قولهم يريدون تحكيم كتاب الله، بل كانوا يكفرون كل من قبل التحكيم ومن لا يرى رأيهم وكانوا كأنهم ينتظرون أن المصحف سينطق بالحكم ويتكلم وحده دون حاجة إلى مثل هذين الحكمين.

وإنهم يكفرون الخليفة الراشد عثمان بن عفان، ويكفرون سيدنا معاوية بن أبي سفيان، وسيدنا عمرو بن العاص ويستبيحون دماء المسلمين، وإنهم عندما خرجوا على علي رضي الله عنه أشاعوا الرعب والفزع في النفوس، وكان مما

فعله هؤلاء الخوارج أنهم لقوا عبد الله بن خباب وهو من أصحاب رسول الله ﷺ فسألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فأثنى عليهم، فلم يعجبهم ذلك؛ لأنه لا يتفق مع مبادئهم، وحينئذ ذبحوه وبقروا بطن امرأته ثم قتلوا ثلاث نسوة من طيئ، فتألم علي رضي الله عنه من هذه الأعمال المنكرة وبعث إليهم رسولًا لينظر فيما بلغه عنهم، ولكنهم قتلوا هذا الرسول.

ولما رأى أصحاب علي رضي الله عنه ذلك قالوا: كيف ندع هؤلاء ونأمن غائلتهم في أموالنا وعيالنا، وجيش علي لا يزال في عُدَدِه وعَدَدِه والعَدَد سبعون ألفاً، والخوارج لا يزيدون على أربعة آلاف فطلب إليهم سيدنا علي رضي الله عنه أن يدفعوا القتلة الذين قتلوا عبد الله بن خباب وبقروا بطن امرأته، وقتلوا نسوة طيئ بل وقتلوا الرسول الذي أرسل إليهم.

فأجابوه إجابة باغية متحدية وقالوا: كلنا قتلهم، وكلنا يستحل دماءكم ودماءهم.

ومع ذلك فتح لهم باب الخلاص مرة ثانية وأمر أن تنصب راية، ثم قال: من تقدم إلى هذه الراية فهو آمن، ومن دخل الكوفة فهو آمن، ومن رجع إلى المدائن فهو آمن، فانصرف منهم ما يقرب من نصف العدد، ووقف النصف الآخر، فكان لعلي رضي الله عنه موقف رهيب في يوم عصيب (يوم النهروان) فهلكوا جميعاً في ساعة واحدة، وكان ذلك سنة سبع وثلاثين أو ثمان وثلاثين كما رجحه أكثر أهل السير وصححه ابن جرير[1].

وفي قصة هؤلاء الخوارج آية عظيمة لرسول الله ﷺ حيث قال في ذي

(١) البداية والنهاية، ٧/ ٣٤٤ .

الخويصرة، وهو أحد المنافقين، كما رواه البخاري ومسلم : «إن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يتجاوز تراقِيَهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. . . آيتهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البَضْعَة تدَرْدَرُ، ويخرجون على حين فرقة من الناس». قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أن علياً بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل، فالتُمِسَ، فأتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعته.

❋ ❋ ❋

استشهاد علي رضي الله عنه

ذكر المؤرخون أن عبد الرحمن بن ملجم، والبُرَكَ بن عبد الله، وعمرو بن بكر التميمي وثلاثتهم من الخوارج تلاقوا في موسم الحج فتذاكروا أمر الناس، وعابوا أعمال ولاتهم وما هم فيه من تفرق واختلاف، وذكروا مصارع إخوانهم الذين قتلوا في يوم النهروان، فترحموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم؟ فيا ليتنا نقتل أئمة الضلالة ونريح منهم البلاد، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علياً، وقال البُرَك: وأنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص. ثم تعاهدوا أن لا ينكص أحد منهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه. وأخذوا سيوفهم فسموها وحددوا موعدهم لتنفيذ مؤامراتهم في الليلة السابعة عشر من شهر رمضان.

ثم قصد كل منهم إلى الجهة التي يريد، فقصد ابن ملجم إلى الكوفة، وقصد البُرَك إلى الشام، وقصد عمرو بن بكر إلى مصر، وكان سنة تسع وثلاثين أو أربعين.

فلما كانت تلك الليلة المقدرة وخرج علي رضي الله عنه لصلاة الفجر، وكان ينادي أيها الناس الصلاة الصلاة قابله عبد الرحمن بن ملجم فضربه بالسيف على مقدم رأسه وقال: الحكم لله لا لك يا علي، ولا لأصحابك فوقع علي بعد هذه الضربة وقال: لا يفوتنكم الرجل فشد الناس عليه فأخذوه، وحُمِلَ عليٌّ رضي الله عنه إلى بيته ثم أدخل ابن ملجم على علي رضي الله عنه وهو مكتوف، فلما رآه علي رضي الله عنه قال: النفس بالنفس، إن هلكت فاقتلوه كما قتلني. وإن بقيت رأيت فيه رأيي ثم نظر إلى ابنه الحسن، وقال: انظر يا حسن إن أنا متُّ من

ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثلن بالرجل، فإني سمعت رسول الله ﷺ : «إياكم والمثلة، ولو بالكلب العقور». ثم دخل جندب بن عبد الله فقال لعلي رضي الله عنه إن فقدناك -ولا نفقدك- أنبايع الحسن؟ فقال: ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر.

ثم وصى ولديه الحسن والحسين بتقوى الله، والعمل بما في كتابه، ووصى ولده محمد بن الحنفية بتوقير أخويه، ثم وصى ولديه الحسن والحسين بأخيهما من أبيهما محمد بن الحنفية خيراً.

ثم كتب وصيته العامة، وهو دستور شامل لمبادئ الإسلام وآدابه، وقال في نهايتها: أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله، ثم لم ينطق بعدها إلا بلا إله إلا الله حتى لقي الله، فرضي الله عنه وأرضاه.

وأما البرك فإنه قصد إلى معاوية رضي الله عنه في تلك الليلة فضربه ضربة لم تصب منه مقتلًا، وقد أمر به معاوية فَقُتِلَ، ثم أحضر الطبيب لمعاوية، وأسرع بعلاجه، فبرأ من جرحه.

وأما عمرو بن بكر التميمي، فإنه جلس لعمرو رضي الله عنه في تلك الليلة، ولكن عمراً لم يخرج للصلاة لمرض طرأ عليه، وأناب عنه صاحب الشرطة خارجة بن حذافة، فقتله الخارجي، وهو يعتقد أنه عمرو بن العاص، فلما أخذوه وأدخلوه على عمرو عجب وقال: فمن قتلتُ إذن؟ قالوا: خارجة. فقال لعمرو بن العاص: والله ما ظننته غيرك. فقال له عمرو: أردت عمراً وأراد الله خارجة. فذهب مثلًا. وأمر بقتله.

وهكذا ينتهي الأمر باستشهاد العالم العظيم والصحابي الجليل، والمجاهد الزاهد ابن عم الرسول ﷺ وزوج ابنة الرسول فاطمة الزهراء سيدة نساء

العالمين رضي الله عنها ووالد السبطين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة في الجنة، وريحانتي نبي هذه الأمة، فإنا لله وإنا إليه راجعون(١).

موقف السبئيين من استشهاد علي رضي الله عنه :

قالت السبئية لمن أخبرهم بمقتل سيدنا علي رضي الله عنه ونعاه قالوا له: كذبت يا عدو الله لو جئتنا -والله- بدماغه ضربة فأقمت على قتله سبعين عدلًا ما صدقناك ولعلمنا أنه لم يمت، ولم يقتل وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، ويملك الأرض. ثم مضوا من يومهم حتى أناخوا بباب علي فاستأذنوا عليه استئذان الواثق بحياته الطامع في الوصول إليه فقال لهم من حضره من أهله وأصحابه وولده: سبحان الله، ما علمتم أن أمير المؤمنين قد استشهد قالوا: إنا لنعلم أنه لم يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بسيفه وسوطه كما قادهم بحجته وبرهانه، وإنه ليسمع النجوى ويعرف تحت الدثار الثقيل، ويلمع في الظلام، كما يلمع السيف الصقيل الحسام(٢).

قال علي رضي الله عنه : سيهلك فيَّ صنفان: محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق. ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس فيَّ حالًا النمط الأوسط فألزموه وألزموا السواد الأعظم فإن يد الله على الجماعة.

القسم الأول: مبغض مفَرِّط وهؤلاء الذين تكلموا فيه، بل غالى بعضهم فقالوا بكفره كالخوارج.

---

(١) جاءت القصة كاملة في حديث طويل في مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي في كتاب المناقب برقم ١٤٧٩١ ص ١٩٣ - ٢٠١ وقال الهيثمي بعده: رواه الطبراني وهو مرسل وإسناده حسن.

(٢) المقالات والفرق للقمي.

والقسم الثاني: أفرط في حبه، وذهب به الإفراط إلى الغلو حتى جعلوه بمنزلة النبي، بل ازدادوا في غيهم، فقالوا بألوهيته.

وأما السواد الأعظم فهم أهل السنة والجماعة الذين أحبوا عليًا وآل بيته المحبة الشرعية، أحبوهم لمكانتهم من النبي ﷺ، ولما أعلن ابن سبأ إسلامه وأخذ يظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكسب قلوب فريق من الناس إليه، أخذ يتقرب من علي بن أبي طالب، ويظهر محبته له، فلما اطمأن لذلك أخذ يكذب ويفتري على علي بن أبي طالب نفسه.

قال عامر الشعبي (وهو أحد كبار التابعين توفي ١٠٣ هـ): أول من كذب عبد الله بن سبأ، وكان ابن السوداء يكذب على الله ورسوله وكان علي يقول: ما لي ولهذا الحميت الأسود (والحميت الأسود هو المتين من كل شيء) يعني ابن سبأ، وكان يقع في أبي بكر وعمر.

وروى ابن عساكر أيضاً أنه لما بلغ علي بن أبي طالب أن ابن السوداء ينتقص أبا بكر وعمر رضي الله عنهما دعا به ودعا بالسيف وهمَّ بقتله، فشفع فيه أناس فقال: والله لا يساكنني في بلد أنا فيه. فسيره إلى المدائن.

وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق: روى الصادق (ولد سنة ٨٣ هـ وتوفي ١٤٨هـ) روى عن آبائه الطاهرين عن جابر قال: لما بويع علي رضي الله عنه خطب الناس فقام إليه عبد الله بن سبأ فقال له: أنت دابة الأرض. فقال له: اتق الله. فقال له: أنت الملك. فقال: اتق الله. فقال له: أنت خلقت الخلق، وبسطت الرزق، فأمر بقتله. فاجتمعت الرافضة، فقالت: دعه، وانفه إلى ساباط المدائن، فإنك إن قتلته بالمدينة -يعني الكوفة- خرج أصحابه علينا وشيعته، فنفاه إلى ساباط المدائن فثَمَّ (هناك) القرامطة والرافضة، أي:

وكانت بعد ذلك، وبجهود ابن سبأ مركزاً يتجمعون فيه.

قال -أي جابر-: ثم قام إليه طائفة وهم السبئية، وكانوا أحد عشر رجلًا، فقال: ارجعوا؛ فإني علي بن أبي طالب، أبي مشهور وأمي مشهوة وأنا ابن عم محمد ﷺ فقالوا: لا نرجع دع داعيك، فأحرقهم في النار وقبورهم في صحراء أحد عشر مشهورة فقال: من بقي ممن لم يكشف رأسه منهم علينا إنه إله واحتجوا بقول ابن عباس لا يعذب بالنار إلا خالقها.

***

الفصل الخامس

استخلاف الحسن بن علي رضي الله عنه وتنازله لمعاوية رضي الله عنه في عام الجماعة

استخلاف الحسن بن علي رضي الله عنه وتنازله لمعاوية رضي الله عنه في عام الجماعة

روى الإمام أحمد في مسنده[(١)]: عن وكيع، عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن عبد الله بن سبع قال: سمعت علياً يقول -وقد ذكر أنه سيقتل- قالوا: فاستخلف علينا. قال: لا، ولكن أتركتكم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ. قالوا: فما تقول لربك إذا أتيته؟ قال: أقول: اللهم تركتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم[(٢)].

وروى البيهقي أنه قيل لعلي: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[(٣)].

بعد استشهاد الخليفة الراشد علي ﷺ حصلت بيعتان: بيعة لمعاوية رضي الله عنه وبيعة للحسن بن علي رضي الله عنهما.

روى البخاري في كتاب الصلح من صحيحه، عن الإمام الحسن البصري قال: استقبل -والله- الحسنُ بن علي معاويةَ بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها. فقال له معاوية -وكان والله خير الرجلين- أي عمرو: إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء

(١) ١: ١٣٠ برقم ١٠٧٨.
(٢) وروى أحمد مثله بسند آخر، والخبران إسناد كل منهما صحيح.
(٣) وهذا الحديث جيد الإسناد.

هؤلاء من لي بأمور الناس من لي بنسائهم، من لي بضيعتهم؟

فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس -عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كريز- فقال: اذهبا إلى هذا الرجل (أي الحسن بن علي) فاعرضا عليه (أي: ما يشاء) وقولا له: (أي: ما يرضيه) واطلبا إليه (أي: ما تريان فيه المصلحة فأنتما مفوضان). فأتياه، فدخلا عليه، فتكلما، وقالا له وطلبا إليه فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها (أي: فيحتاج إرضاؤها في دمائها إلى مال كثير) قال: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به. فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به. فصالحه.

وروى البخاري عن الحسن البصري، عن أبي بكرة رأى النبي ﷺ وهو على المنبر، والحسن بن علي إلى جنبه فقال: (إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين).

فنفذ الميعاد وصحت البيعة لمعاوية، وذلك لتحقيق رجاء النبي ﷺ.

وسيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما تخلى عن الأمر صيانة لحقن دماء الأمة، وتصديقاً للنبي ﷺ، وتم الاتفاق أن يكون الحسن بن علي خليفة بعده، وأن تدفع ديات القتلى من الطرفين من بيت المال.

وسمي العام الذي بايع فيه الحسن معاوية رضي الله عنهما عام الجماعة لاجتماع الكلمة على إمام واحد وكان ذلك سنة واحد وأربعين في شهر ربيع الأول.

* * *

خصال معاوية رضي الله عنه
واستخلافه لابنه يزيد

قال ابن العربي: فإن قيل: ألم يكن في الصحابة أقعد بالأمر من معاوية؟ قلنا: كثير (كسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وغيرهما من هذه الطبقة، وهم الذين ترك لهم الحكمان (أبو موسى وعمرو) أمر الإمامة بعد حرب صفين؛ ليروا فيها رأيهم، فلما رأوا اجتماع الأمة كلها على معاوية دخلوا كلهم في إمامته، وبايعوه بعد أن كانوا معتزلين الفتنة من بعد عثمان، (كما في فتح الباري).

ومعاوية نفسه يعرف للناس أقدارهم فقد جاء في البداية والنهاية (٨/ ١٤٨) أن معاوية خطب فقال: يا أيها الناس، ما أنا بخيركم، وإن منكم لمن هو خير مني: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وغيرهما من الأفاضل، ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولاية، وأنكاكم في عدوكم وأدرَّكم حلباً.

قال ابن العربي: ولكن معاوية اجتمعت فيه خصال: وهي أن عمر جمع له الشامات كلها، وأفرده بها لما رأى من حسن سيرته.

قال سعد بن أبي وقاص: ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بالحق من معاوية[(١)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما رأيت رجلًا أخلق بالملك من معاوية.

وقد ولاه أبو بكر رضي الله عنه لأنه ولى أخاه يزيد (من قبل)، واستخلفه يزيد

---

(١) رواه ابن كثير.

فأقره عمر لتعلقه بولاية أبي بكر لأجل استخلاف واليه له، فتعلق عثمان بعمر وأقره.

وقد استعمله رسول الله ﷺ بكتابة الوحي.

وقد عَزَلَ عمر رضي الله عنه عُمير بن سعد الأنصاري الأوسي عن حمص، وَوَلَّى معاوية، قال الناس: عزل عميراً وولى معاوية (وكان عمير يقال له: نسيج وحده) فقال عمير: لا تذكروا معاوية إلا بخير؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم اهد به»[1]. ويُروى ذلك عن عمر رضي الله عنه.

قال ابن تيمية: وكان سيرة معاوية مع رعيته من خيار سيرة الولاة، وكان رعيته يحبونه، وقد ثبت في الصحيحين: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم، ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم).

وفي الطبري أن قبيصة بن جابر الأسدي قال: ألا أخبركم من صحبت؟ صحبت عمر بن الخطاب فما رأيت رجلًا أفقه فقهاً، ولا أحسن مدارسة منه. ثم صحبت طلحة بن عبيد الله، فما رأيت أحداً أعطى للجزيل من غير مسألة منه. ثم صحبت معاوية فما رأيت رجلًا أحب رفيقاً ولا أشبه سريرة بعلانية منه.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: (ما رأيت أحداً أسود من معاوية) قال جبلة بن سحيم: ولا عمر؟ قال: كان عمر خيراً منه، وكان معاوية أسود منه.

(١) رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب، وعمرو بن واقد (وهو في مسند الحديث) ضعيف.

وقال قتادة: لو أصبحتم في مثل عمل معاوية لقال أكثركم: هذا المهدي.

وعن مجاهد: لو أدركتم معاوية لقلتم المهدي.

وقد ذُكِرَ عند الأعمش عمرُ بن عبد العزيز وعدلُه فقال الأعمش: فكيف لو أدركتم معاوية؟ قالوا: في حلمه؟ قال: لا والله بل في عدله.

وقد قال ﷺ: «اللهم اجعله هادياً مهدياً، واهد به»[1].

وفي حديث البخاري: في حديث أم حرام (وهي صحابية من الأنصار من أهل قباء، كان النبي ﷺ إذا ذهب إلى قباء استراح عندها، وهي خالة أنس بن مالك):

روى البخاري ومسلم عن أنس، أن النبي ﷺ نام عندها القيلولة، ثم استيقظ وهو يضحك؛ لأنه رأى ناساً من أمته غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج البحر (أي: وسطه ومعظمه) ملوكاً على الأسرة، ثم وضع رأسه فنام واستيقظ وقد رأى مثل الرؤيا الأولى، فقالت له أم حرام: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال لها: أنت من الأولين.

قال الحافظ ابن كثير: يعني جيش معاوية حين غزا قبرص ففتحها سنة ٢٧ أيام عثمان بن عفان (بقيادة معاوية عقب إنشائه الأسطول الإسلامي الأول في التاريخ).

وكانت معهم أم حرام في صحبة زوجها عبادة بن الصامت، ومعهم من الصحابة أبو الدرداء وأبو ذر وغيرهما، وماتت أم حرام في سبيل الله وقبرها بقبرص إلى اليوم.

---

(١) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب.

قال ابن كثير: ثم كان أمير الجيش الثاني يزيد بن معاوية في غزوة القسطنطينية، قال: وهذا من أعظم دلائل النبوة.

والدعاء لمعاوية ثابت من طرق عديدة، ورواته أكثر من أن يحصوا منها:

روى الطبراني أن النبي ﷺ قال لمعاوية: «اللهم علمه الكتاب والحساب وَقِهِ العذاب»[١]. وزاد ابن عدي في حديث «اللهم اهد به»: «وأدخله الجنة».

قال محب الدين الخطيب: الخلافة والملك والإمارة عناوين اصطلاحية تتكيف في التاريخ باعتبار مدلولها العملي، والعبرة دائماً بسيرة المرء وعمله.

ومعاوية قد ولي الشام للخلافة الراشدة مدة عشرين سنة، ثم اضطلع بمهمة الإسلام كلها عشرين سنة أخرى في الوطن الإسلامي الأكبر بعد بيعة الحسن بن علي له، فكان في الحالتين قواماً بالعدل محسناً إلى الناس من كل الطبقات، يكرم أهل المواهب ويساعدهم على تنمية مواهبهم، ويسع بحلمه جهل الجاهلين فيعالج بذلك نقائصهم، ويلتزم في الجميع أحكام الشريعة الإسلامية بحزم ورفق ومثابرة وإيمان، يؤمهم في صلواتهم، ويوجههم في مجتمعهم ومرافقهم، ويقودهم في حروبهم.

وفي منهاج السنة ٣: ١٨٥ والمنتقى منه ص٣٨٩ قول الصحابي الجليل أبي الدرداء لأهل الشام: ما رأيت أحداً أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من إمامكم هذا يعني معاوية.

وقد رأيتَ قول الأعمش للذين ذكروا عنده عمر بن عبد العزيز وعدله: «كيف لو أدركتم معاوية؟ قالوا: في حلمه؟ قال: لا والله؛ بل في عدله».

---

(١) وأخرجه البخاري في التاريخ.

وقد بلغ من استقامته على جادة الإسلام أن قال فيه أمثال قتادة ومجاهد وأبي إسحاق السبيعي -وكلهم من الأئمة الأعلام-: كان معاوية هو المهدي.

والذي يتتبع سيرة معاوية في حكمه يرى أن حكومته في الشام كانت حكومة مثالية في العدل والتراحم والتأسي، لم يخير بين الطيب والأطيب إلا اختار الأطيب على الطيب(١).

ونقل عن معاوية رضي الله عنه قوله: أنا أول الملوك وآخر خليفة.

وروى معمر عن الزهري، أن معاوية عمل سنتين عمل عمر ما يخرم فيه.

ولما قدم عمر الشام، وتلقاه معاوية بموكب عظيم، فاستنكر عمر ذلك، واعتذر له معاوية بقوله: إنا بأرضٍ جواسيس العدو بها كثيرة، فيجب أن تظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز للإسلام وأهله، وترهبهم فيه. فقال عبد الرحمن بن عوف لعمر: ما أحسن ما صدر عما أوردته فيه يا أمير المؤمنين. فقال عمر: من أجل ذلك جشمناه ما جشمناه.

وذكر ابن كثير: أن معاوية قال ليزيد: كيف تراك فاعلًا إن وليت؟ قال: كنت والله عاملًا فيهم عمل عمر بن الخطاب. فقال معاوية: سبحان الله، يا بني والله لقد جهدت على سيرة عثمان، فما أطقتها، فكيف بك وسيرة عمر؟.

روى الإمام أحمد في كتاب الزهد عمن قال: رأيت معاوية على المنبر بدمشق يخطب الناس، وعليه ثوب مرقوع.

وأخرج ابن كثير، عن يونس من شيوخ الأوزاعي قال: رأيت معاوية في

(١) العواصم من القواصم، ص٢٠٨ .

سوق دمشق، وهو مردف وراءه وصيفاً، وعليه قميص مرقوع الجيب، يسير في أسواق دمشق، وكان قواد معاوية وكبار أصحابه يستهدون ملابسه للتبرك بها، فكان إذا حضر أحدهم إلى المدينة وعليه هذه الملابس، يعرفونها ويتغالون في اقتنائها. (البداية والنهاية، ج٨ سنة ٦٠ هجرية).

قال أبو بكر العربي: فإن قيل: قد دسَّ معاوية على الحسن من سَمَّه.

قلنا: هذا محال من وجهين:

أحدهما: أنه ما كان يتقي من الحسن بأساً، وقد سلَّم الأمر.

الثاني: أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة: «لم يثبت ذلك ببينة شرعية، ولا إقرار معتبر، ولا نقل يجزم به، وهذا مما لا يمكن العلم به، فالقول به قول بلا علم».

وبعد أن ذكر ابن تيمية أن الحسن مات بالمدينة، وأن معاوية كان بالشام ذكر للخبر احتمالات -على فرض صحته- منها: أن الحسن كان مطلاقاً لا يدوم مع امرأة . . . إلخ.

قال أبو بكر بن العربي: فإن قيل: قد عهد إلى يزيد وليس بأهل.

قال محب الدين الخطيب: إن كان مقياس الأهلية لذلك أن يبلغ مبلغ أبي بكر وعمر في مجموع سجاياهما، فهذا ما لم يبلغه خليفة في تاريخ الإسلام، ولا عمر بن عبد العزيز، وإن طمعنا بالمستحيل، وقدرنا ظهور أبي بكر آخر، وعمر آخر، فلن تتاح له البيئة كالبيئة التي أتاحها الله لأبي بكر وعمر.

وإن كان مقياس الأهلية الاستقامة في السيرة، والقيام بحرمة الشريعة والعمل

بأحكامها، والعدل بين الناس، والنظر في مصالحهم والجهاد في عدوهم، وتوسيع الآفاق لدعوتهم، والرفق بأفرادهم وجماعاتهم، فإن يزيد يوم نمحص أخباره ويقف الناس على حقيقة حاله كما كان في حياته، يتبين أنه لم يكن دون كثيرين ممن تغنى التاريخ بأمجادهم ومحامدهم، وأجزل الثناء عليهم.

وقال محب الدين الخطيب: شباب قريش المعاصرون ليزيد -ممن يحدثون أنفسهم بولاية الأمر لبعض الاعتبارات التي يعرفونها لأنفسهم- كثيرون جداً، حتى سعيد بن عثمان بن عفان، ومن هم دون سعيد، كانوا يطمعون بولاية الأمر بعد معاوية، ومبدأ الشورى في انتخاب الخليفة أفضل بكثير من مبدأ ولاية العهد، لكن معاوية كان يعلم بينه وبين نفسه أن فتح باب الشورى في انتخاب من يخلفه سيحدث في الأمة مجزرة لا ترقأ فيها الدماء، إلا بفناء كل ذي أهلية في قريش لولاية شيء من أمور هذه الأمة، ومعاوية أحصف من أن يخفى عليه أن المزايا موزعة بين هؤلاء الشباب القرشيين، فإذا امتاز أحد منهم بشيء منها على أضرابه ولَدَّاته، فإن فيها من يمتاز عليه بشيء آخر منها، غير أن يزيد -مع مشاركته لبعضهم في بعض ما يمتازون به- يمتاز عليهم بأعظم ما تحتاج إليه الدولة -أعني القوة العسكرية التي تؤيده- إذا تولى الخلافة فتكون قوة للإسلام، كما تؤيده إذا أوقع الشيطان الفتنة على هذا الكرسي بين المتزاحمين عليه، فيكون ما لا يحب كل مسلم أن يكون.

ولو لم يكن ليزيد إلا أخواله من قضاعة وأحلافهم من قبائل اليمن لكان منهم ما لا يجوز لبعيد النظر أن يسقطه من قائمة الحساب عندما يفكر في هذه الأمور.

جاء في صحيح البخاري (٣٨٨٢) عن ابن عمر أن أخته أم المؤمنين حفصة نصحت له بأن يسرع بالذهاب للبيعة (بيعة يزيد بولاية العهد) وقالت:

«الحق؛ فإنهم ينتظرونك، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة». فلم تدعه حتى ذهب.

وأما عن العلم فقد قال ابن كثير (٨-٢٢٨) فالذي يلزم منه لمثله في مثل مركزه فيه موضع الرضا وفوق الرضا.

روى المدائني أن ابن عباس رضي الله عنهما وفد إلى معاوية بعد وفاة الحسن بن علي رضي الله عنهما فدخل يزيد على ابن عباس، وجلس منه مجلس المعزِّي، فلما نهض يزيد من عنده قال ابن عباس: إذا ذهب بنو حرب ذهب علماء الناس.

وروى البخاري أن أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة». وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدراً أعظم من أن نبايع رجلًا على بيع الله ورسوله، ثم ننصب له القتال، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه، ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه.

وهذا الخبر المنير الذي يرويه البخاري في صحيحه يفضح الذين زوروا الأخبار المتناقضة.

وروى مسلم في صحيحه، أن ابن عمر جاء إلى ابن مطيع داعية ابن الزبير، ومثير هذه الثورة فقال ابن مطيع: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة. فقال ابن عمر: إني لم آتك لأجلس؛ أتيتك لأحدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ يقوله: «من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية».

وكان لمحمد بن الحنفية مثل هذا الموقف من داعية الثورة ابن مطيع.

نقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية أن عبد الله بن مطيع داعية ابن الزبير مشى في المدينة هو وأصحابه إلى محمد ابن الحنفية، فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم، فقال ابن مطيع: إن يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب. فقال لهم: ما رأيت منه ما تذكرون، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظباً على الصلاة متحرياً للخير، يسأل عن الفقه، ملازماً للسنة. قالوا: فإن ذلك كان منه تصنعاً لك. فقال: وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر إليَّ الخشوع أفأَطْلَعَكُم على ما تذكرون من شرب الخمر؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه، وإن لم يكن أطلعكم، فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا قالوا: إنه عندنا لحق، وإن لم نكن رأيناه، فقال لهم: أبى الله ذلك على أهل الشهادة. فقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، ولست من أمركم في شيء. (البداية والنهاية ج٨ سنة ٦٤هـ).

وروى يحيى بن بكير، عن الليث بن سعد قال الليث: توفي أمير المؤمنين يزيد في تاريخ كذا فسماه الليث «أمير المؤمنين» بعد ذهاب ملكهم وانقراض دولتهم.

قال أبو بكر بن العربي: وهذا أحمد بن حنبل -على تقشفه وعظيم منزلته في الدين وورعه، قد أدخل عن يزيد بن معاوية في كتاب الزهد- كان يقول في خطبته: (إذا مرض أحدكم مرضاً فأشفي ثم تماثل فلينظر إلى أفضل عمل عنده فليلزمه، ولينظر إلى أسوأ عمل عنده فليدعه).

وهذا يدل على عظيم منزلته عنده حتى يدخله في جملة الزهاد من الصحابة والتابعين، الذين يقتدى بقولهم ويرعوى من وعظهم. وما أدخله إلا في جملة الصحابة قبل أن يخرج إلى ذكر التابعين. اهـ من العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي.

ترجمة يزيد بن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وأمه ميسون من فروع قبيلة كلب القضاعية، ولد سنة ٢٥هـ أو ٢٦ هـ وأبوه أمير الشام لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . بويع بالخلافة في حياة أبيه ليكون ولي العهد من بعده ثم تأكد ذلك بعد موت أبيه في رجب سنة ٦٠هـ، واستمر متولياً حتى توفي سنة ٦٤ هـ.

روى عن أبيه حديث: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»(١) وحديثاً آخر في الوضوء، وعنه ابنه خالد، وعبد الملك بن مروان.

وقد ذكره أبو زرعة الدمشقي في الطبقة التي تلي الصحابة، وهي العليا، وقال: له أحاديث.

وكان كثير اللحم عظيم الجسم كثير الشعر، جميلًا طويلًا ضخم الهامة، محدد الأصابع، غليظاً مجدراً(٢).

وهو أول من غزى القسطنطينية سنة ٤٩ هـ أو ٥٠هـ، ثم خرج في تلك السنة، وقد ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «أول جيش يغزو مدينة قيصر مغفور له». وهو الجيش الثاني الذي رآه رسول الله ﷺ في منامه عند أم حرام، فقالت: «ادع الله أن يجعلني منهم». فقال: «أنت من الأولين» يعني جيش معاوية حين غزا قبرص ففتحها سنة ٢٧ أيام عثمان، وكان معهم أم حرام، فماتت هنالك بقبرص، ثم كان أمير الجيش الثاني يزيد، ولم تدرك

---

(١) رواه البخاري.
(٢) البداية والنهاية ج٤ ص٢٢٧ .

أم حرام جيش يزيد هذا، وهذا من أعظم دلائل النبوة.

وقد أورد الحافظ ابن عساكر هاهنا الحديث: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

وروي أن قرن الرسول ﷺ (١٢٠) سنة، وكان آخره موت يزيد.

وقال ابن أبي الدنيا: إن معاوية قال ليزيد: كيف تراك فاعلًا إن وليت؟ قال: يمنع الله بك يا أمير المؤمنين. قال: لتخبرنِّي. قال: كنت والله يا أبت عاملًا فيهم عمل عمر بن الخطاب، فقال معاوية: سبحان الله يا بني، والله لقد جهدت على سيرة عثمان بن عفان فما أطقتها، فكيف بك وسيرة عمر؟[1].

بويع يزيد وعمره أربع وثلاثون سنة، فأقرَّ نواب أبيه على الأقاليم، لم يعزل واحداً منهم، وهذا من ذكائه.

تربى على يد والده معاوية -كاتب الوحي وخليفة المسلمين بالإجماع- تربية عظيمة، ولما أراد معاوية رضي الله عنه غزو القسطنطينية ولاه قيادة الجيش الذي حاصر القسطنطينية، وفي الجيش أبو أيوب الأنصاري، والحسين، وعبد الله بن الزبير، وعدد من الصحابة رضي الله عنهم .

كان فصيحاً بليغاً، قيل لسعيد بن المسيب: من أبلغ الناس؟ قال: رسول الله ﷺ فقيل: ليس عن هذا نسألك. قال: معاوية وابنه، وسعيد بن العاص، وابنه.

كان عالماً، شهد له بذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فقد وفد ابن عباس على معاوية، وجاء يزيد وعَزَّاه في سيدنا الحسن رضي الله عنه فلما نهض يزيد من

(١) العواصم من القواصم، ص٢٢٩-٢٣٠ .

عنده قال: إذا ذهب بنو حرب ذهب علماء الناس.

وكان عالماً عادلًا زاهداً، وكان حريصا على الإصلاح، قال عمر فروخ: كان يزيد خليفة عمرانياً، وملكاً إدارياً، أتم نظام الري في الغوطة، وحفر فيها القناة التي تدعى «نهر يزيد».

وكان كريماً، روى المدائني: قدم عبد الله بن جعفر -أحد أجواد العرب- على يزيد فقال له: كم كان عطاؤك؟ فقال له: ألف ألف. قال: قد أضعفناه لك. قال: فداك أبي وأمي، وما قلتها لأحد قبلك. قال: أضعفناها لك مرة ثانية. فقيل ليزيد: أتعطي رجلًا واحداً أربعة آلاف ألف؟ فقال: ويحكم؛ إنما أعطيتها أهل المدينة أجمعين، فما يده فيها إلا عارية. يعني: أن ابن جعفر سيوزعها على فقراء المدينة.

وكان سبب تولية معاوية ابنه يزيد الخلافة الفِتَنَ التي تلاحقت يتلو بعضها بعضاً. وكان من الصعوبة أن يلتقي المسلمون على خليفة واحد، خاصة والقيادات المتكافئة في الإمكانات قد يضرب بعضها بعضاً، فتقع الفتن والملاحم بين المسلمين مرة ثانية.

ورأى معاوية أن ابنه قد تمرس بالسلطة وخبر أساليبها، وقاد الجيوش وحاصر العدو، وعرف نكايته وأساليبه، وهذا كان كافياً لقناعة معاوية رضي الله عنه لاختيار يزيد. ولهذا قال لعبد الله بن عمر رضي الله عنه : «إني خفت أن أذر الرعية من بعدي كالغنم المطيرة ليس لها راعٍ».

ولقد صدَّق الواقع حدس معاوية وظنه رضي الله عنه .

بعد وفاة يزيد، ماذا كان الأمر؟ حصلت بيعتان لعبد الله بن الزبير في الحجاز والعراق، ولمروان بن الحكم في الشام، وكان ما كان.

وإن معاوية استشار في يزيد كبار دولته، فمنهم من أشار بالتريث، ومنهم من أشار عليه بأخذ البيعة له، وطلب من الولاة أن يوفدوا إليه وفود أمصارهم لعقد البيعة.

فوفد عليه وفد المدينة، وعليه محمد بن عمرو بن حزم، ووفد البصرة وعليه الأحنف بن قيس التميمي، ووفد الكوفة وعليه موسى بن المغيرة بن شعبة، أما مصر فقد اكتفى الوالي هناك بأخذ البيعة من الناس.

ولما اجتمعت الوفود في دمشق جلس لهم معاوية رضي الله عنه فتكلم، فعظم أمر الإسلام، وحرمة الخلافة وحقها، وما أمر الله به من طاعة ولاة الأمر، ثم ذكر يزيد وفضله، وعلمه بالسياسة، وعرض بيعته.

فقام الخطباء واحد بعد آخر يؤيدون اختيار يزيد، وتلكم الأحنف بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين، أنتم أعلم بيزيد في ليله ونهاره، وسره وعلانيته، ومدخله ومخرجه، فإن كنت تعلمه لله رضاً، ولهذه الأمة، فلا تشاور الناس فيه، وإن كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة.

ثم قام معاوية فخطب خطبته منها: اللهم إن كنت إنما عهدت ليزيد لما رأيت من فضله، فبلغه ما أملت وأعنه، وإن كنت تعلم أنما حملني حب الوالد لولده، وأنه ليس لما صنعت به أهلًا فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك.

وإن معاوية ضبط البيعة ليزيد من أهل المدينة، وتمت البيعة له من الجميع على أرجح الأقوال.

وقيل: إن الحسين وعبد الله بن الزبير سكتا فلم يبايعا.

* * *

أخبار الحسين بن علي رضي الله عنهما

الحسين أدرك من حياة النبي ﷺ خمس سنين، وسيدنا الحسن ستاً ونيفاً.

الحسن ولد سنة ثلاث من الهجرة، وولد الحسين بعده، وكان بينهما طهر ومدة حمل، وولد لخمس من شعبان سنة أربع.

ولما استقرت الخلافة لمعاوية، كان الحسين يتردد عليه مع أخيه الحسن فيكرمهما إكراماً زائداً ويقول لهما: مرحباً وأهلًا ، ويعطيهما عطاءً جزيلًا، وقد أطلق لهما في يوم واحد مائتي ألف، وقال: خذاها وأنا ابن هند، والله لا يعطيكماها أحد قبلي ولا بعدي. فقال الحسين: والله لن تعطي أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك رجلًا أفضل منا.

ولما توفي الحسن كان الحسين يفد إلى معاوية في كل عام، فيعطيه ويكرمه.

وقد كان في الجيش الذي غزوا القسطنطينية مع ابن معاوية يزيد في سنة ٥١ هـ كما ذكر الحافظ ابن كثير(١).

وقد جاء في وصية معاوية ليزيد بشأن الحسين بن علي رضي الله عنهما ما يأتي:

انظر حسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ فإنه أحب الناس إلى الناس؛ فَصِلْ رَحِمَه، وارفق به يصلح لك أمره، فإن يكن منه شيء، فإني أرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه، وخذل أخاه(٢).

---

(١) البداية والنهاية، ج٨ ص ١٦٢ .
(٢) البداية والنهاية، ج٨ ص١٧٦ .

وتوفي معاوية ليلة النصف من رجب سنة ستين للهجرة، وبايع الناس يزيد.

وقد كان معاوية رضي الله عنه أخذ البيعة له في حياته من ابن عمر وابن عباس، ويظهر من كتاب للحسين أنه قد بايع هو وابن الزبير أيضاً.

فقد كتب معاوية للحسين: إن من أعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفاء، وقد أنبئت أن قوماً من أهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق، وأهل العراق من قد جربت، قد أفسدوا على أبيك وأخيك، فاتق الله واذكر الميثاق، فإنك متى تكدني أكدك.

فكتب إليه الحسين: أتاني كتابك، وأنا بغير الذي بلغك عني جدير، والحسنات لا يهدي لها إلا الله، وما أردت لك محاربة ولا عليك خلافاً، وقد جاء أيضاً في هذا الكتاب: (وما أظن لي عند الله عذراً في ترك جهادك، وما أعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة)[١].

ولما بويع يزيد كلَّف الوليدَ بن عتبة بن أبي سفيان بأخذ البيعة وهو على المدينة، قال له: ادع الناس فبايعهم وابدأ بوجوه قريش، وليكن أول ما تبدأ به الحسين بن علي؛ فإن أمير المؤمنين عهد إليَّ في أمره الرفق به واستصلاحه.

فَبَعَثَ الوليدُ من ساعته نصف الليل إلى الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، فأخبرهما بوفاة معاوية، ودعاهما إلى البيعة ليزيد بن معاوية، فقالا: إلى أن نصبح وننظر ما يصنع الناس، وخرجا من ليلتهما إلى مكة، ولقيهما

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ج٨ ص١٧٥ .

عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وابن أبي ربيعة بالأبواء منصرفين من العمرة، فقال لهما عبد الله بن عمر: أذكركما الله إلا رجعتما فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس وتنظرا فإن اجتمع الناس عليه فلم تشذا، وإن افترقوا عليه كان الذي تريدان.

خرج الحسين ﷺ ومعه من معه، وبعث عبيد الله بن زياد عُمَرُ بن سعد بن أبي وقاص لقتالهم. فقال له الحسين: يا عمر، اختر بي إحدى ثلاث خصال: إما أن تتركني أرجع كما جئت، فإن أبيت هذه فسيرني إلى يزيد، فأضع يدي في يده، فيحكم فيَّ ما رأى، فإن أبيت هذه فسيرني إلى الترك فأقاتلهم حتى أموت.

فأرسل إلى ابن زياد بذلك، فهمَّ أن يسيره إلى يزيد، فقال شِمْرُ بن ذي الجوشن: لا؛ إلا أن ينزل على حكمك، فأرسل إلى الحسين بذلك، فقال الحسين: والله لا أفعل. وأبطأ عمر عن قتاله، (فأرسل ابن زياد شِمْر بن ذي الجوشن، وقال له: إن تقدم عمر فقاتل، وإلا فاقتله، وكن مكانه فقد وليتك الإمرة)[١].

وكان مع عمر قريب من ثلاثين رجلًا من أعيان أهل الكوفة، فقالوا له: يعرض عليكم ابن بنت رسول الله ﷺ ثلاث خصال فلا تقبلوا منها شيئاً؟ فتحولوا مع الحسين يقاتلون معه، وقتل يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ.

وكذلك الحُرُّ بن يزيد انحاز إلى الحسين وعمر بن سعد بقي يقاتل، وقَتَلَ الحسينَ جماعةٌ. هكذا روي، والله أعلم[٢] بل أكثر الأئمة قديماً وحديثاً كاره ما وقع من قتله وقتل أصحابه سوى شرذمة قليلة من أهل الكوفة -

---

(١) ما بين القوسين من الدس وهذا رأيي، وأرجو أن يكون صواباً لأن الناقل هو الشمر.
(٢) البداية والنهاية ج٨، ص١٨٤، ١٨٥ .

قبحهم الله- وأكثرهم كانوا كاتبوه، ليتوصلوا به إلى أغراضهم ومقاصدهم الفاسدة.

لم يأمر يزيد بقتل الحسين، ولا حمل رأسه إليه، ولا نكت بالقضيب على ثناياه بل الذي جرى منه، هو عبيد الله بن زياد كما ثبت في صحيح البخاري، ولا طَيَّفَ برأسه في الدنيا، ولا سُبِيَ أحد من أهل الحسين.

وقال الغزالي: وأما قتل الحسين فلم يأمر به ولم يرض به وذم من قتله، ولم يحمل الرأس إليه، وإنما حمل إلى ابن زياد، ولا يجوز لعن يزيد، وأما الترحم عليه فجائز به بل هو مستحب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: كان بالعراق طائفتان: طائفة النواصب تبغض علياً وتشتمه، وطائفة تظهر موالاة أهل البيت، منهم المختار الثقفي، أظهر المختار التشيع، وانتصر للحسين حتى قتل الأمير الذي أمر بقتل الحسين، وأحضر رأسه إليه ونكت بالقضيب على ثناياه، ثم ادعى أنه يوحى إليه فقتله مصعب بن الزبير.

نبذٌ مهمة منقولة من البداية والنهاية لابن كثير بشأن خروج الحسين[١]:

روى يعقوب عن بشر بن غالب:

قال ابن الزبير للحسين: أين تذهب، إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك؟ ٨/ ١٦١ .

قال ابن مطيع للحسين: إني فداؤك وأبي وأمي، أمتعنا بنفسك ولا تسر إلى العراق. ٨/ ١٦٢ .

(١) البداية والنهاية ج٨، ص١٦١ - ١٦٥ .

وقال أبو سعيد الخدري: غلبني الحسين بالخروج، وقلت له: اتق الله في نفسك، والزم بيتك، ولا تخرج على إمامك. ٨/ ١٦٣.

وقال جابر بن عبد الله: كلمت حسيناً فقلت: اتق الله، ولا تضرب الناس بعضهم ببعض، فوالله ما حمدتم ما صنعتم. فعصاني. ٨/١٦٣ .

وقال سعيد بن المسيب: لو أن حسيناً لم يخرج لكان خيراً له. ٨/ ١٦٣.

وكتب إليه والي مكة عمرو بن سعيد بن العاص: إني أسأل الله أن يلهمك رشدك، وأن يصرفك عما يرديك، بلغني أنك قد عزمت على الشخوص على العراق، وإني أعيذك بالله من الشقاق، فإنك إن كنت خائفاً فلك عندي الأمان والبر والصلة. ٨/ ١٦٤.

وكتب يزيد بن معاوية إلى ابن عباس يخبر بخروج الحسين إلى مكة، وأحسبه قد جاءه رجال من أهل المشرق فمنّوه الخلافة، وعندك منهم خبر وتجربة، فإن كان قد فعل فقد قطع راسخ القرابة، وأنت كبير أهل بيتك، والمنظور إليه، فاكففه عن السعي في الفرقة.

وكتب مروان إلى ابن زياد: فإن الحسين قد توجه إليك، وهو الحسين بن فاطمة الزهراء رضي الله عنها وفاطمة بنت رسول الله ﷺ وتالله ما أحد يُسْلِمُهُ الله أحب إلينا من الحسين، فإياك أن تهيج على نفسك ما لا يسده شيء، ولا تنساه العامة، ولا تدع ذكره آخر الدهر، والسلام. ٨/ ١٦٥

وفي آخر الصحيفة قال ابن كثير: قلت: والصحيح أنه لم يبعث برأس الحسين إلى الشام. ٨/ ١٦٥ .

وكتب يزيد إلى ابن زياد: أما بعد، فقد بلغني أن الحسين قد توجه نحو

العراق، فضع المناظر والمسالح واحترس واحبس على الظنة، وخذ على التهمة غير أن لا تقتل إلا من قاتلك، واكتب إلي في كل ما يحدث من خبر، والسلام. ٨/ ١٦٥ .

نهض عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد والي يزيد على مكة فقال له: اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل فيه الأمان، وتمنيه في البر والصلة، وتوثق له في كتابك، وتسأله الرجوع، لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع. فقال له عمرو: اكتب عني ما شئت، وائتني به حتى أختمه. فكتب ابن جعفر على لسان عمرو بن سعيد ما أراد عبد الله، ثم جاء بالكتاب إلى عمرو فختمه بخاتمه، وقال عبد الله لعمرو: ابعث معي أمانك. فبعث معه أخاه يحيى، فانصرفا حتى لقيا الحسين فقرأ عليه الكتاب، فأبى أن يرجع وقال: (إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وقد أمرني فيها بأمر، وأنا ماض له. فقالا: وما تلك الرؤيا؟ قال: لا أحدث بها أحداً حتى ألقى ربي عز وجل). ٨/ ١٦٧ .

والطبري (٤/ ٢١٩ - ٢٢٠) حذف الكلمات التي بين القوسين، أي لم يذكرها .

وقال ابن عمر للحسين بعد أن عمل على إثنائه وأبى، فاعتنقه وبكى، وقال: أستودعك الله من قتيل.

ومما قال ابن عباس للحسين رضي الله عنهما : فإن كنت ولا بد سائراً، فلا تسر بأهلك وأولادك، فوالله إني خائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وأولاده ينظرون إليه، فوالله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أني إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علي وعليك الناس أطعتني وأقمت لفعلت ذلك. ٨/ ١٦٠ .

ولما خرج الحسين من مكة اعترضه رسل عمرو بن سعد -أمير مكة- عليهم أخوه يحيى بن سعيد، فقالوا له: انصرف أين تريد؟ فأبى عليهم ومضى، فناداه: يا حسين، ألا تتقي الله تخرج من الجماعة وتفرق بين الأمة بعد اجتماع الكلمة. فتأول الحسين هذه الآية: ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١]. وهذا من رواية أبي مخنف. اهـ من البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ١٦٦ .

وقال ابن العربي بشأن خروج الحسين بن علي رضي الله عنهما :

ذكر المؤرخون أن كتب أهل الكوفة وردت على الحسين، وأنه أرسل مسلم بن عقيل ابن عمه إليهم ليأخذ عليهم البيعة، وينظر هو في اتِّباعه، فنهاه ابن عباس وأعلمه أنهم خذلوا أباه وأخاه، وأشار عليه ابن الزبير رضي الله عنه بالخروج فخرج.

ونقل محب الدين الخطيب عن الطبري، أن الحسين كان قد جاءته قبل خروجه رسائل مسلم بن عقيل بأن اثني عشر ألفاً بايعوه على الموت، فخرج عقب موسم الحج إلى الكوفة، ولم يشجعه على الخروج إلا ابن الزبير.

وأما المشفقون على الحسين من هذا الخروج المشئوم، فهم جميع أحبائه وذوي قرابته والناصحين له، والمتحرين سنة الإسلام في مثل هذا الموقف.

كل هؤلاء نهوه عن مسيره، وحذروه من عواقبه، وفي طليعتهم محمد ابن الحنفية، وابن عباس، وعبد الله بن جعفر.

وقد بلغ الأمر بعبد الله بن جعفر، أن حمل والي يزيد على مكة، وهو عمرو بن سعيد بن العاص، على أن يكتب للحسين كتاب الأمان، ويمنيه فيه البر والصلة، ويسأله الرجوع، فأجابه والي مكة إلى كل ما طلب، وقال له:

اكتب ما تشاء، وأنا أختم على الكتاب، فكتبه وختمه الوالي، وبعثه إلى الحسين مع أخيه يحيى بن سعيد بن العاص، وذهب عبد الله بن جعفر مع يحيى، وجهد بالحسين أن يثنياه عن السفر فأبى.

بل إن عبد الله بن مطيع داعية ابن الزبير كان من ناصحيه بعقل وإخلاص، وعمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، والحارث بن خالد ابن العاص بن هشام لم يأله نصحاً، وحتى الفرزدق الشاعر قال له: قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية.

فلم يفد شيء من هذه الجهود في تحويل الحسين عن السفر الذي كان مشئوماً عليه، وعلى الإسلام، وعلى الأمة الإسلامية، إلى هذا اليوم، وإلى قيام الساعة، وكل هذا بجناية شيعته الذين حرضوه بجهل وغرور، رغبة في الفتنة والفرقة والشر، ثم خذلوه بجبن ونذالة وخيانة وغدر.

ولم يكتف ورثتهم بما فعل أسلافهم، فعكفوا على تشويه التاريخ، وتحريف الحقائق، ورد الأمور على أدبارها.

زد على ذلك فإن مسلم بن عقيل ضل في الطريق، ومات من معه من العطش، فكتب إلى الحسين يستعفيه فأجابه: خشيت ألا يكون حملك على الاستعفاء إلا الجبن. فمضى مسلم إلى الكوفة، وأخذ البيعة من اثني عشر ألفاً، لم يلبثوا عندما سمعوا بمقدم عبيد الله بن زياد أن تخلوا عنه، وصاروا هباءً، ثم قبض عليه وقتل.

* * *

موقعة الحرة

عزل يزيد الوليد بن عتبة بن أبي سفيان (وقد كان يزيد عزل عمرو بن سعيد بن العاص وولى الوليد)، وولى مكانه عثمان بن محمد بن أبي سفيان، فسار إلى الحجاز، فإذا هو فتى غُرٌّ حدث غَمْرٌ لم يمارس الأمور، فطمعوا فيه، ولما دخل المدينة بعث إلى يزيد وفداً فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة الحضرمي، والمنذر بن الزبير، ورجال كثير من أشراف المدينة، فقدموا على يزيد فأكرمهم وأحسن إليهم، وعظم جوائزهم (أجاز كل واحد منهم بمائة ألف)، ثم انصرفوا راجعين إلى المدينة.

ولما رجع وفد المدينة إليها أظهروا شتم يزيد وعيبه، وخلعوه وتابعهم الناس على خلعه، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على الموت، وأنكر عليهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

ثم إن يزيد بعث إلى أهل المدينة النعمان بن بشير ينهاهم عما صنعوا ويحذرهم غِبَّ ذلك، ويأمرهم بالرجوع إلى السمع والطاعة، ولزوم الجماعة، وإنه خوفهم الفتنة، وعواقب الأمور، وما يتوقعه من القتل والسلب فعصوه، ولم يسمعوا منه فانصرف، وكان الأمر والله كما قال سواء[١] .

اجتمعوا على إخراج يزيد من بين أظهرهم، وعلى إجلاء بني أمية من

(١) البداية والنهاية، ج٨، ملخص من ص ٢١٦ .

المدينة فاجتمعت بنو أمية في دار مروان بن الحكم، وأحاط بهم أهل المدينة يحاصرونهم.

واعتزل الناس علي بن الحسين زين العابدين وعبد الله بن عمر، فإنهما لم يخلعا يزيد، ولا أحد من بيت ابن عمر، وقد قال ابن عمر لأهله: لا يخلعن أحد منكم يزيد فيكون الفيصل بيني وبينه. وأنكر على أهل المدينة في مبايعتهم لابن مطيع (على القرشيين) وابن حنظلة (على الأنصار) على الموت وقال: إنما كنا نبايع رسول الله ﷺ على أن لا نَفِرَّ.

كذلك لم يخلع يزيدَ أحدٌ من بني عبد المطلب، وقد سئل محمد بن الحنفية في ذلك فامتنع من ذلك أشد الامتناع، وناظرهم وجادلهم في يزيد، ورد عليهم ما اتهموا يزيد به من شرب الخمر، وتركه بعض الصلوات . . . إلخ ٨/ ٢١٨ .

وكتب بنو أمية إلى يزيد بما هم فيه من الحصر والإهانة، والجوع والعطش، وأنه إن لم يبعث إليهم من ينقذهم مما هم فيه استئصلوا عن آخرهم.

فبعث مسلم بن عقبة المزني ومعه (١٠) أو (١٢) أو (١٥) ألفاً، وقال: ادع القوم ثلاثاً، فإن رجعوا إلى الطاعة فاقبل منهم، وكفَّ عنهم، وإلا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا ظهرت عليهم فأبح المدينة ثلاثاً، ثم اكفف عن الناس، وانظر إلى علي بن الحسين فاكفف عنه، واستوص به خيراً، وأدن مجلسه؛ فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه. ووقع ما وقع.

إلا أن ابن جرير يروي الأخبار على غير ما رواها أبو مخنف، وليس فيها إباحة المدينة:

ذَكَرَ وَفْدَ المدينة وخَلْعَهُم يزيد، وخروجهم لقتال أهل الشام، وابتدأ القتال

فأقحم عليهم بنو حارثة من خلفهم في جوف المدينة، فكانت الهزيمة، وكان من أصيب في الخندق أعظم ممن قتل، ودخل مسلم المدينة، وأخذ البيعة ليزيد.

والخلاف في جواز لعن يزيد معروف، فرأى البعض جواز لعنه، ومنع من ذلك آخرون، وقالوا: إن كان فاسقاً لا يعزل على أصح قولي العلماء، بل ولا يجوز الخروج عليه؛ لما في ذلك من الفتنة وسفك الدماء.

إن إباحة المدينة ثلاثاً نقلها الطبري عن أبي مخنف، وهو شيعي محترق، وكل من ينقلونها من المغرضين.

والطبري روى الخبر بوجه آخر عن وهب بن جرير، ولم يذكر توصية يزيد لقائده مسلم بإباحة المدينة ثلاثاً، مما يدل على أنها من زيادة أبي مخنف، وأن الروايات كلها في إباحة المدينة ترجع إلى أبي مخنف وأمثاله؛ لأنها دائماً تعتمد على ما رواه الطبري عن أبي مخنف، ويميل القلب إلى القطع بنفي وقوعها.

* * *

حرق الكعبة

قدم لنا الطبري ثلاث روايات:

١- عن الواقدي بأن أصحاب ابن الزبير كانوا يوقدون حول الكعبة فأقبلت شرارة هبت بها الريح فاحترقت ثياب الكعبة، واحترق خشب البيت.

٢- عن عروة بن أذينة بأن رجلًا من أصحاب ابن الزبير أخذ قبساً في رأس رمح له فطيرت الريح به فضربت أشعار الكعبة، ما بين الركن اليماني والأسود.

٣- على لسان عوانة بن الحكم بأن بني أمية بعد ثلاثة أيام قذفوا البيت بالمجانيق، وحرقوه بالنار، وهذه لم تذكر إلا على لسان أبي مخنف أيضاً.

وفتوح البلدان للبلاذري (ت ٢٧٩هـ) ينص على أن ما أصاب الكعبة من حريق أثناء الحصار كان مصدره أصحاب ابن الزبير.

وأخبار مكة للأزرقي، كل رواياته تنص على أن أسباب الحريق كانت من جانب ابن الزبير، وليس لمجانيق بني أمية شأن به.

وكذلك الكامل لابن الأثير، ومروج الذهب للمسعودي.

وروايات التاريخ تتناقل ما ورد سابقاً، فالمغرضون ضد بني أمية يسارعون لإسناده لبني أمية، ولا يخلو الأمر أن أعداء ابن الزبير قد ينسبونه إلى أصحابه.

وأخيراً إن الشك كبير في إسناد إباحة المدينة وحرق الكعبة إلى جيش بني أمية، فلذا ينبغي الاحتراز عن الجزم في هذه المواضيع، والأمر قد وقع، والمسلمون في الطرفين لم يكن منهم من يتعمد وقوع هذا، والله أعلم.

يذكر الدكتور يوسف العش في كتابه «الدولة الأموية ص١٧٥-١٧٦» كيف يقاتل أهل الشام في معركة الحرة وحرب ابن الزبير بمكة:

اجتمع لمسلم بن عقبة القائد المخلص للحكم الأموي إخلاصاً عجيباً - وهو متمرن على القتال- اثنا عشر ألفاً، وسار بهم إلى المدينة.

وعرف بعض من كان في الشام من الأنصار والمهاجرين خطورة الأمر، فتوسطوا عند يزيد، فناشده النعمان بن بشير الأنصاري في الأنصار، وقال له عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: أرأيت إن رجعوا إلى طاعتك، أتقبل ذلك منهم؟ قال: إن فعلوا فلا سبيل عليهم. اهـ

وكانت حرباً ضارية، قاتل فيها أهل الشام؛ لأنهم يعتقدون أنهم أصحاب الحق، وكان الجيش يستثار، فأمراؤه يقولون: «إن هؤلاء القوم وأشباههم من العرب غيروا فغير الله بهم، فَتَمُّوا على أحسن ما كنتم عليه من الطاعة، يتم الله لكم أحسن ما ينيلكم من النصر»[١].

وكان مسلم يعتقد أن له أجراً في حرب أهل المدينة، فبعد أن انتهى من حربه، وسار إلى ابن الزبير وافته المنية، فقال قبل وفاته: اللهم إني لم أعمل عملًا قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله أحب إليَّ من قتلي أهل المدينة، ولا أرجى عندي في الآخرة[٢].

وعهد مسلم قبل وفاته بإمرة الجيش إلى الحصين بن نمير، حسب تعليمات يزيد، فسار الحصين إلى حرب ابن الزبير.

---

(١) الطبري ج٤، ص٣٧٦ .
(٢) الطبري ج٤، ص٣٨٢ .

وكان ابن الزبير معتصماً بالكعبة يبايعه الناس فيها، ولا يخرج منها، وقد أحجم أهل الشام عن ضربه بادئ الأمر، ثم نصبوا المجانيق، وصاروا يضربون بها.

وحدث أن رجلًا من أصحاب ابن الزبير أشعل فتيلًا من النار، فوقع ذلك الفتيل على ستر من أستار الكعبة فحرقه، واتُّهِمَ به أهل الشام.

ثم ورد ابن الزبير في خريف ٦٤ هـ خبر من الشام بوفاة يزيد، فأعلم ابن الزبير جيش الشام بالخبر.

وجاءهم من مصادرهم الخاصة فاضطربوا إذ لم يبق في أعناقهم بيعة لخليفة، وأصبحوا محتارين، وأراد الحصين إخماد الفتنة، ففاوض ابن الزبير رضي الله عنه على شروطه:

أولها: أن تحقن الدماء أي: لا يطالب ابن الزبير بأي ثأر لأهل المدينة أو مكة.

ثانيها: أن ينتقل ابن الزبير إلى الشام، وامتنع ابن الزبير عن قبوله.

فقال الحصين: كنت أعدك داهية، ثم رجع بجيشه إلى الشام.

بايع البيت الأموي في الشام معاوية بن يزيد: فتى في العشرين من عمره، وكان معاوية لا يحب الخصام، ولا يرغب في الخلافة، ويرى نفسه عاجزاً عن تحمل أعبائها، وهو من الزاهدين المتعبدين.

***

الفصل السادس

ما بعد يزيد بن معاوية

ما بعد يزيد بن معاوية

الخليفة معاوية الثاني بن يزيد:

استمرت خلافته عشرين يوماً، وقيل: ثلاثة أشهر، ثم خرج إلى الناس، فخلع نفسه أمامهم، ولم يعين خلفاً له، وتوفي بعد ذلك بقليل.

وقد أحدث اعتزاله أثراً شديداً جداً في بلاد الشام، وسائر الأقطار العربية، وقد أصبح منصب الخلافة في الشام خالياً.

ولما استشهد الحسين، أهاج مقتله الناس جميعاً، وبصفة خاصة أهل مكة، الذين خرج الحسين رضي الله عنه من مدينتهم، وبايع أهل مكة ابن الزبير سرًّا، وهو معتصم بالكعبة، وكان على مكة عمرو بن سعيد بن العاص، فأقاله يزيد، وولى بدله الوليد بن عتبة، فتشدد على ابن الزبير رضي الله عنه ، فطلب ابن الزبير من يزيد أن يرسل رجلًا ألين منه، يتم الصلح بين المسلمين على يديه، فاستجاب يزيد، وأرسل فتًى غرًّا هو عثمان بن محمد بن أبي سفيان.

فأرسل إلى يزيد وفداً من أهل المدينة، فأكرمه يزيد أيما إكرام، وعاد الوفد يخلع يزيد، وفي الوفد عبد الله بن حنظلة الغسيل، وأخ لابن الزبير اسمه المنذر فبايع الناس عبد الله بن حنظلة على خلع يزيد، وحاصروا عامل المدينة وبني أمية في دار مروان بن الحكم.

فكتب بنو أمية إلى يزيد كتاباً يستغيثون: إنا قد حصرنا في دار مروان بن الحكم، ومنعنا الماء العذب ورمينا بالحبوب فياغوثاه يا غوثاه[١].

---

(١) الطبري ج٤، ص٣٧٠ .

فأرسل مسلم بن عقبة، وحصلت معركة الحرة كما مر، ومات مسلم، وخلفه الحصين بن نمير، ومات يزيد والحصين يحاصر مكة، طلباً لابن الزبير.

عبد اللَّه بن الزبير:

واستخلف معاوية الثاني، وخلع نفسه كما ذكرنا، ولما أصبح منصب الخلافة في الشام خالياً، فالأقطار غير الشام لم تجد أمامها إلا ابن الزبير الذي بايعه أهل مكة سراً فبايعت الحجاز، والعراق، وأصبح ابن الزبير خليفة على الحجاز والعراق، ثم بايعت مصر، وأراد أهل الشام الدخول في البيعة، ولم يوافق ابن الزبير على شرطهم كما مر.

مروان بن الحكم:

ووقف أهل الشام مع مروان بن الحكم فقد عرك السياسة، ودافع عن عثمان في الدار حتى كاد أن يقتل دونه، ولكونه شيخ بني أمية فبايعوا مروان ابن الحكم.

ولما تمت البيعة لمروان بالشام توجه تلقاء مصر، وأخذ البيعة، وطرد عامل ابن الزبير عليها، وعاد إلى فلسطين، فدخلها وبايعه الناس فيها، ووجَّه عبيد الله بن زياد إلى العراق، ثم توفي مروان بالطاعون، وخلفه ابنه عبد الملك.

عبد الملك بن مروان:

فكتب عبد الملك إلى ابن زياد يعلمه بذلك، ويثبته على الجيش لحرب العراق فحارب التوابين وتغلب عليهم (والتوابون فئة موالية لأهل البيت تريد

أن تقتل قتلة سيدنا الحسين رضي الله عنه).

وكان قد ظهر رجل غريب الأطوار داهية؛ وهو المختار بن أبي عبيد الثقفي، فضم إليه فلول التوابين، ونادى: يا لثارات الحسين، وضم إليه السبئية، ولتتم خديعته أظهر بأنه يدعو لمحمد ابن الحنفية، وقال: إن محمد ابن الحنفية هو المهدي الذي يملأ الأرض عدلًا، سيغلب الكفار، ويردهم على أعقابهم خاسرين.

ومجمل مخطط المختار الثقفي إذن: أنه جمع حوله الشيعة العرب والسبئية والموالي، وأثار فيهم الحماسة والاندفاع، ونظر نظرة السياسي الحكيم، فضم إليه قائداً محنكاً من كبار رجال ذلك العصر، وهو إبراهيم بن الأشتر النخعي، والأشتر كان بطل صفين، وكان من شيعة سيدنا علي رضي الله عنه فقوي أمر المختار به.

فألقى القبض على عامل ابن الزبير في الكوفة، ودانت له الكوفة.

وأرسل طليعة إلى ابن زياد فهزمها ابن زياد.

وأعلن أنه سيرسل جيشاً إلى ابن زياد، وسينتصر عليه.

وفعلًا وقعت المعركة (موقعة الخازر)، وانتصر إبراهيم بن الأشتر، وقتل ابنَ زياد نفسه، والحصينَ وعدداً كبيراً ممن اشتركوا بدم الحسين، وتيقن الشيعة أنهم أخذوا بثارات الحسين، وتتبع أصحاب إبراهيم حتى وجدوا عمر ابن سعد بن أبي وقاص قتيلًا، فمثلوا به.

وأصبح المختار سيد الكوفة، وأراد ضم البصرة إليه، ولكن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أرسل أخاه مصعباً، وكان فتى في مقتبل العمر إلا أنه شديد البأس قوي، سريع في أعماله، ليناجز المختار.

وكان عامل ابن الزبير على البصرة مشغولاً بقتال الخوارج الأزارقة، وقد أرسل إليهم المهلب بن أبي صفرة ليحاربهم.

فاستقدم مصعب المهلب، وأرسله إلى المختار بن أبي عبيد، فهزم جيشه وقتله، وقتل عدداً من جماعته.

وابن الزبير كشف حال المختار، وأن الكتب التي كان يعرضها باسم محمد ابن الحنفية مُزَيَّفة، فتفرق الشيعة من حوله، ورجع إبراهيم إلى فئة ابن الزبير.

نهاية عبد اللّه بن الزبير رضي الله عنه :

ودخل الصراع الآن بين عبد الملك بن مروان، وعبد الله بن الزبير، فمصعب سائد في العراق، وعبد الملك بن مروان سائد في الشام.

فهيأ عبد الملك الأسباب وسار إلى حرب مصعب بن الزبير، فانتصر عليه وقتله، ودخل الكوفة فبايعه أهلها، وانتقل إلى البصرة فبايعه أهلها، وجاء إليه المهلب فبايعه، وانتقل بجيشه إليه، وأصبحت العراق مع عبد الملك بن مروان.

ثم جهز جيشاً بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي، وسيره لحرب عبد الله بن الزبير رضي الله عنه في الحجاز.

تفرق عن عبد الله بن الزبير أصحابه، ولم يستسلم، ولاذ بالكعبة، فقاتله الحجاج في أطراف مكة وشعابها، فكان يلجأ إلى الكعبة.

فكتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في ضرب ابن الزبير، وهو متحصن بالكعبة، وذكر له أن هذا هو الأسلوب الوحيد للانتصار عليه، فأذن

له بذلك، فصار يضرب بمنجنيقه على ابن الزبير وهو في الكعبة.

وتفرق الناس عن ابن الزبير، وخذلوه حتى بعض أبنائه، فدخل على أمه أسماء ذات النطاقين رضي الله عنها فقال لها: خذلني الناس حتى ولداي، فما رأيك؟ والقوم يعرضون عليَّ فقالت: إن كنت تقاتل من أجل الدنيا فقد أهلكت نفسك، وأهلكت من معك. وإن كنت تقاتل من أجل الدين وترى أنك على حق فاثبت. فقال: الرأي ما رأيت، وخرج وقاتل حتى قتل، وصلبه الحجاج.

واستمرت خلافة ابن الزبير سبع سنين، ودخل في حكمه العراق والحجاز واليمن ومصر وتوابعها، وكان صواماً قواماً، وصولًا للرحم[1].

وقد جدد بناء الكعبة على قواعد إبراهيم، وأدخل الحجر والشاذروان فيها،وجعل لها بابين باباً يدخل منه، وباباً يخرج منه، وفقاً للحديث الصحيح الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها : «لولا قومك حديثو عهد بجاهلية، ولولا ضيق ذات اليد لهدمت الكعبة وبنيتها على قواعد إبراهيم، وجعلت لها بابين: باب يدخل منه، وباب يخرج منه».

فقال عبد الله بن الزبير: زالت الموانع التي ذكرها الرسول ﷺ وأنا أملك ذلك. ففعل.

واعتبر عبد الملك بن مروان هذا خروجاً وقال: دعونا من هنات عبد الله ابن الزبير. فهدم الكعبة وأعادها كما كانت في زمن رسول الله ﷺ .

انتهى الصراع بين الدولة الأموية ومعارضيها ما عدا الخوارج.

---

(١) مختصر من الدولة الأموية، للدكتور يوسف العش.

الخوارج:

والخوارج معروفون بالشدة والغلظة قال في حقهم ﷺ: «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» متفق عليه.

وتابع بنو أمية الحروب ضد الخوارج، ولهم فضل عظيم في القضاء على فتنتهم، أو تخفيف شرها وخطرها.

* * *

الفصل السابع
قصة استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما وخيوط المؤامرة السبئية

قصة استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما وخيوط المؤامرة السبئية

قصة محزنة ومأساة أليمة، وجرح عميق في قلب كل مسلم، فهو سبط الرسول المختار ﷺ، وسيد شباب أهل الجنة في الجنة، وقد كان يجلسه الرسول ﷺ على ركبة، وأخاه الحسن على ركبة، ويقول: «اللهم إني أحبهما فأحبهما»[١]. وقال فيه وفي الحسن رضي الله عنه: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما»[٢].

ونسل الرسول ﷺ محصور بهما، وحب آل البيت فرض على كل مسلم.

والدارس لهذه الواقعة الأليمة، وأسبابها القريبة والبعيدة يدرك بوضوح أن الأيدي الملوثة بدماء المسلمين التي عاثت في الأرض الفساد، والتي رتبت المكائد والدسائس للقضاء على الإسلام والمسلمين هي التي نفذت هذه الجريمة المفجعة.

هذه الأيدي هي عبد الله بن سبأ، وفئته السبئيون.

زوروا الكتب بالطعن على عثمان رضي الله عنه على لسان علي رضي الله عنه لأهل مصر، وعلى لسان الزبير لأهل الكوفة، وعلى لسان طلحة لأهل البصرة، ولفقوا الإشاعات ضد الخليفة الراشدي الثالث ذي النورين الذي تستحي منه ملائكة الرحمن، جامع القرآن، الكريم الحليم، وقتلوه في المدينة المنورة

---

(١) رواه البخاري (رقم ٣٥٣٧).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال صحيح، ولم يخرجاه.

في مركز الخلافة، هذه الأيدي التي أشعلت الحرب يوم الجمل بين طلحة والزبير والسيدة عائشة، وبين الخليفة علي بعد أن تم الصلح ونام المسلمون بخير ليلة.

طلحة والزبير والسيدة عائشة رضي الله عنهم ، ما خرجوا إلى البصرة والكوفة إلا للإصلاح، كما ثبت بالنقول الصحيحة، ولما تم التفاهم بينهم وبين الخليفة على القصاص من قتلة عثمان على يد الصحابي الجليل القعقاع بن عمرو، أشعلوا (يعني السبئيين) الحرب، ولم يدعوا فرصة للطرفين لتلافي الوقوع في المعركة.

قتلوا طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو يحجز بين المقاتلين، ويناشد المسلمين أن يلقوا السلاح، وقتلوا الزبير وهو يصلي التجاءً إلى الله، ويجأر إلى الله أن يوقف المعركة.

وأرادوا قتل عائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق عالمة النساء، وأم المؤمنين التي نزل القرآن ببراءتها وطهارتها، وقتلوا من حمل المصحف بأمرها؛ ليكف الناس عن القتال، وهو كعب بن سور الأزدي.

هذه الأيدي لم تكتف بمعركة الجمل بل جَرَّتْ المسلمين إلى معركة صفين، فاخترعت الكتب والرسائل على لسان معاوية رضي الله عنه بما هيج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الخليفة الراشدي للقتال، ولا علم لمعاوية بها، إلا أنه بلغه أن علياً جهز جيشاً لقتاله، حيث أحاطوا الخليفة من كل جانب حتى لا يتصل به أحد، ولم يتسنَّ في هذه الفترة أيُّ وسيط يوصل الأخبار.

ولم يكن في نية معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ومن معهما من الصحابة والمسلمين القتال ألبتة، كما هو ثابت بالطرق الصحيحة، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة: (ولم يكن معاوية ممن اختار القتال

ابتداءً، بل كان من أشد الناس حرصاً على أن لا يكون قتال).

وحصلت المعركة وقتل فيها سبعون ألفاً من المسلمين، ولما رفعت المصاحف طلباً للتحكيم من قبل طرف معاوية، واستجاب طرف علي لذلك، وقفت الحرب، وجرى التحكيم.

وبعد هذه المعركة تكشفت من هذه الفئة وهذه الأيدي الخبيثة طائفتان:

طائفة تكفر علياً ومعاوية وعَمْراً، وكل من رضي بالتحكيم، وتستحل دماءهم وأموالهم،وقد لقيت عبدَ الله بن خباب، وهو من أصحاب رسول الله ﷺ فسألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فأثنى عليهم، فذبحوه وبقروا بطن امرأته، وقتلوا ثلاثةً من نسوة طيئ، فأرسل إليهم رجلًا لينظر فيما بلغه عنهم، ولكنهم قتلوا الرجل.

فطلب منهم الخليفة أن يسلموه القتلة فأجابوه إجابة باغية متحدية فقالوا: كلُّنا قتلهم، وكلُّنا يستحل دماءكم ودماءهم.

وطائفة منهم تقول: إن علياً هو الله، وأنه الذي خلق الخلق، وبسط الرزق، ويسألهم الخليفة علي رضي الله عنه ويقرون بذلك، بل ويصرون عليه، وبعد تأجيلهم ثلاثة أيام للإقناع، وبقوا مصرين فحرَّقهم رضي الله عنه ، وقد قررت الطائفة الأولى -الخوارج- قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص، وقَتَلَ عبد الرحمن بنُ ملجم أميرَ المؤمنين الخليفةَ الراشدي علياً رضي الله عنه قائلًا: الحكم لله، لا لك يا علي.

وتقول الطائفة الثانية -الزنادقة والسبئيون- في الذين حرقهم: لا يحرق بالنار إلا ربُّ النار، حرقهم من جهة ، وأحياهم من جهة ثانية، فهم يقولون بالحلول والتقميص.

وفي حق عبد الرحمن بن ملجم: إنما قتله بأمره، ويعظمون عبد الرحمن ابن ملجم وسُمِعَ منهم من يقول عند ذكر عبد الرحمن بن ملجم: ﷺ. وقالوا لمن أخبرهم بقتله: كذبت يا عدو الله، لو جئتنا -والله- بدماغه ضربة[1] فأقمت على قتله سبعين عدلًا ما صدقناك، ولعلمنا أنه لم يقتل ولم يمت، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، ويملك الأرض[2].

هذه الأيدي الخبيثة الملوثة بدماء خُلَّصِ عباد الله هي التي قتلت الحسين بن علي رضي الله عنهما، وهي التي قتلت والده.

لما استشهد الخليفة الراشدي العالم الزاهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي جاءت في مقتله الأحاديث الصحيحة، حصلت بيعتان: بيعة لمعاوية رضي الله عنه، وبيعة للحسن بن علي رضي الله عنهما.

نظر معاوية لما آل إليه حال المسلمين فاختار رجلين من كرام الناس، وأرسلهما إلى الحسن رضي الله عنه، وهما عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كريز، يذكرانه بالحديث الذي تكلم به رسول الله ﷺ في حق الحسن: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

وأرسل معهما بقرطاس موقع عليه من قبل معاوية رضي الله عنه على بياض يذكر فيه: بأنه ملتزم لما يقرر الحسن بن علي رضي الله عنهما بدون مراجعة، وإذا سألهما الحسن من يكفل فليقولا: نحن نكفل.

---

(١) ضربةً: دفعة واحدة.

(٢) ولهذا قرر أبناء علي دفنه في مكان لا يطلع عليه أحد إلا الله، وظل قبره غير معروف حتى اليوم سداً للذرائع والفتنة، وخشية أن ينبشه الخوارج.

وهكذا تم الصلح على أن يتولى الخلافة معاوية رضي الله عنه بالإجماع ويبايعه الحسن.

وتتحقق معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم في سيدنا الحسن رضي الله عنه ويبايعه الجميع بدون استثناء، ومما كتبه الحسن: (أن يكون الخليفة من بعده الحسن رضي الله عنه ، وأن تدفع ديات القتلى من بيت المال).

وانطلقت كتائب الجهاد تفتح الفتوح، وتبني الدولة الإسلامية، وشاءت المقادير أن يتوفى الحسن قبل معاوية رضي الله عنهما .

وقد اجتهد معاوية في اختيار الخليفة من بعده، واستشار أهل الحل والعقد من الصحابة وأهل الرأي والتدبير في المسلمين، وتم الاتفاق على بيعة يزيد، وأخذ معاوية البيعة له من الصحابة باختيارهم ورضاهم، كما هو التحقيق والرواية الصحيحة أنه تمت البيعة من قبل عبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر، والحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير وغيرهم رضي الله عنهم بالرضا والاختيار.

وإن سيدنا الحسين الذي هو سيد شباب أهل الجنة في الجنة، وهو الرجل العالم الحازم صاحب الإرادة الإيمانية، جاءته رسائل من أهل الكوفة من نفس الفئة الضالة التي فعلت ما فعلت، وهذه الرسائل تذكرُ يزيدَ بالسوء والكفر البواح، وكثرة الرسائل التي هي حِمْلُ جمل، جعلت سيدنا الحسين يعزم على الخروج عن البيعة وخلع يزيد، وفي الرسائل أيضاً الوعد بالبيعة لسيدنا الحسين.

وقد اجتهد كما اجتهد غيره من الصحابة من قبل، وضحى في سبيل الحق باجتهاد أيما تضحية، ولم يثن عزمه أقوال بعض الصحابة، وبخاصة عبد الله ابن عباس له، واعتبر أن ذلك من الثبات على الحق، والتضحية في سبيل

الله، فخرج رضي الله عنه ونجح السبئيون في إخراجه، وهو مجتهد فيما أقدم عليه، وهم مغرضون في مقاصدهم.

وأصحاب هذه الرسائل ذكروا له أعداداً مذهلة من الذين سيبايعونه حتى يخرج على الخليفة، ولما بلغ يزيد الأمر أمر عبيد الله بن زياد بالخروج بالجيش، ومراقبة الأمر حتى لا تحصل فوضى.

وإن الذين بايعوا الحسين رضي الله عنه وأغروه بالخروج رجعوا عن ذلك؛ وذلك لعلمهم أنهم إن انضموا للحسين وقاتلوا معه، قتلوا عن آخرهم، وضاعت فكرتهم، ولذلك تخلوا عن الحسين رضي الله عنه وساروا مع جيش عبيد الله بن زياد الذي هو في إمرة عمر بن سعد، ولكنهم ساروا في المقدمة ليحققوا الهدف بقتل الحسين ليكون أيضاً وسيلة لشق الصف، وإحداث بلبلة وفتن في صفوف المسلمين.

وهكذا شاء الله أن تحدث معركة بين الحسين ومن معه من أهل البيت، وهم قلة جداً، وبين هؤلاء الطغمة الذين تمرسوا على الفتن وإثارة السوء، ويقتل الشِّمْرُ بن ذي الجوشن سيدنا الحسين على أرجح الأقوال، ويسارع إلى عبيد الله بن زياد، وكان في جيشه بعيداً عن أرض المعركة قائلاً له: أبشر بقتل الحسين. فقال له: قاتلك الله، قتلت خير المسلمين أباً وأماً، وأمر بقتله في الحال. ولقد حاول سيدنا الحسين بأن يتفاوض معهم على أن يتركوه ليعود من حيث جاء، أو يتركوه يسير مجاهداً في سبيل الله أو يدعوه يذهب إلى يزيد في دمشق، فأبوا إلا أن يسلم نفسه لابن زياد، وينزل على حكمه، ولما لم ير سيدنا الحسين هذا مفيداً بقي على موقعه.

ولما قتل الحسين، ووصل الخبر إلى دمشق بكاه القريب والبعيد، وبكاه

بنو أمية رجالًا ونساءً وأطفالًا ولم يوقد في بيوتهم نار طوال أسبوع، وبكى يزيد بكاءً عظيماً.

وأنزل بنو أمية آل البيت ومن معهم في أحسن مكان في دمشق، ثم خرج أربعون امرأة من نساء بني أمية يشيعن بنات عمهن حتى وصلن إلى المدينة المنورة.

ومما يروى أن يزيد لعب برأس الحسين فليس له من الصحة نصيب، لا من قريب ولا من بعيد، بل الصحيح أن الرأس لم ينقل من كربلاء لا إلى دمشق ولا إلى مصر.

والقصة من وضع أهل المؤامرة، ونقلها عنهم الثقات، وأصبح الأمر مُحَيِّراً للدارس، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولم يكن لبني أمية أي تصرف ضد الحسين ومن معه إلا الاحترام والإكرام.

فكل مسلم يتألم لقتل الحسين رضي الله عنه ، والجريمة تهز مشاعر المسلمين وتنبههم إلى خطر أولئك السبئيين الذين شقوا وحدة المسلمين.

وإن عدم تصرف يزيد بالضرب على يد هؤلاء ساعد ناقلي الفتنة -ولو أن بني أمية تتبعوهم حتى لم يبق منهم إلا من اختفى واستتر.

ومضى الحسين شهيداً كما استشهد أبوه من قبل.

وكما استشهد طلحة والزبير، وكما استشهد عثمان رضي الله عنهم أجمعين.

وبنو أمية تابعوا قتال الخوارج الذي ابتدأه أبو الحسن والحسين رضي الله عنهما ،

وتتبعوا كل من اشترك بدم الحسين رضي الله عنه، وتتبعوا السبئيين بما لا يدع لهم أي مجال فاختفوا حتى ظهروا باسم القرامطة.

وباعتبار الدولة الأموية الدولة الإسلامية التي فتحت الفتوح، ركز أعداء الإسلام وتلاميذ عبد الله بن سبأ الذين اشتروا فكرة التشيع وحب آل البيت بالنيل من الدولة الأموية.

وهذا زين العابدين علي بن الحسين يذكر ما فيه الكفاية عن موقف يزيد والأمويين، ولسنا بحاجة إلى أن نتحدث بأكثر من هذا.

فقتلُ سيدنا الحسين كان من قبل الفئة الضالة عليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا علاقة للمسلمين بها؛ لا أمويين ولا غيرهم.

ونقول هذا إبراءً للذمة، ونصرة للحق لا اتباعاً للهوى، ولا خروجاً عن الصدق.

قُتِلَ الحسين مظلوماً، وقُتِلَ علي مظلوماً، وقُتل طلحة والزبير مظلومين، وقتل عثمان مظلوماً بل وقتل عمر مظلوماً، وأكبر الظن أن المؤامرة نفسها قتلت عمر رضي الله عنه ولكن يحتاج الأمر إلى تمحيص كثير.

وقافلة الشهداء سائرة أنبياء ومرسلون وصحابة وتابعون ومن بعدهم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأخيراً:

لا علاقة للصحابة في معركة الجمل، ولا في معركة صفين، وإنما جُرُّوا إليها جرًّا دون أن يستطيعوا ردها أو الخلاص منها، وكما هو ظاهر موضوع السبئيين موضوع هام يجب دراسته والتوسع فيه، وهم أعداء الإسلام فلا

ينبغي أن يتخذ من الخلاف بين الصحابة ولا من هذه الحوادث طريق لتمزيق الصفوف أو إثارة العداوات بين المسلمين، بل يجب أن يتفق الجميع ضد أعداء الإسلام ومؤامراتهم.

وقد قال أحد الصالحين:

وهكذا الحياة صراع دائم بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، ولا يستطيع أحد أن يرد قضاء الله وقدره.

فرحم الله الحسين في الشهداء الخالدين، ورحم الذين قتلوا معه، ورحم أباه من قبل والشهداء جميعاً، والحمد لله رب العالمين.

خلاصة ما نقل في صورة القتل:

الشِّمْرُ الذي حضَّ على القتل، وإن مالك بن البشير ضرب الحسين على رأسه بالسيف فأدمى رأسه[١].

ثم لم يقدم على قتله حتى نادى شمر بن ذي الجوشن: ويحكم، ماذا تنتظرون بالرجل فاقتلوه ثكلتكم أمهاتكم. فضربه زرعة بن شريك التميمي على كتفه اليسرى، وضربه بالسيف على عاتقه، ثم جاء سنان بن أبي عمر بن أنس التحفي فطعنه بالرمح فوقع ثم نزل فذبحه وحَزَّ رأسَه، ثم دفع رأسه إلى خولي بن يزيد.

وقيل: إن الذي قتل هو الشِّمْرُ، وقيل: رجل من مُذْحِج، وقيل: عمر بن سعد، وليس بشيء، وإنما كان عمر بن سعد أمير السرية التي قتلت الحسين

(١) البداية والنهاية، ج٨ ص١٨٩ .

فقط، والأول أشهر.

وابن زياد قائد جيش بني أمية هو الذي أرسل عمر بن سعد هذا، وذكر أن الذين قتلوا الحسين مجموعة -يعني هؤلاء- والله أعلم.

وإنما رَجَّحْتُ أن القاتل هو الشِّمْرُ لأني قرأت ص ١٨٤[١] أن نافع بن هلال الجملي قال للشمر: أما والله يا شمر لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا، فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه، ثم قتله. وقد قتل فيما بعد كل من اشترك في دم الحسين شر قتلة.

وصلى اللَّه على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) البداية والنهاية، ج٨، ص١٨٤ .

المحتويات


شباب
النادي الشبابي

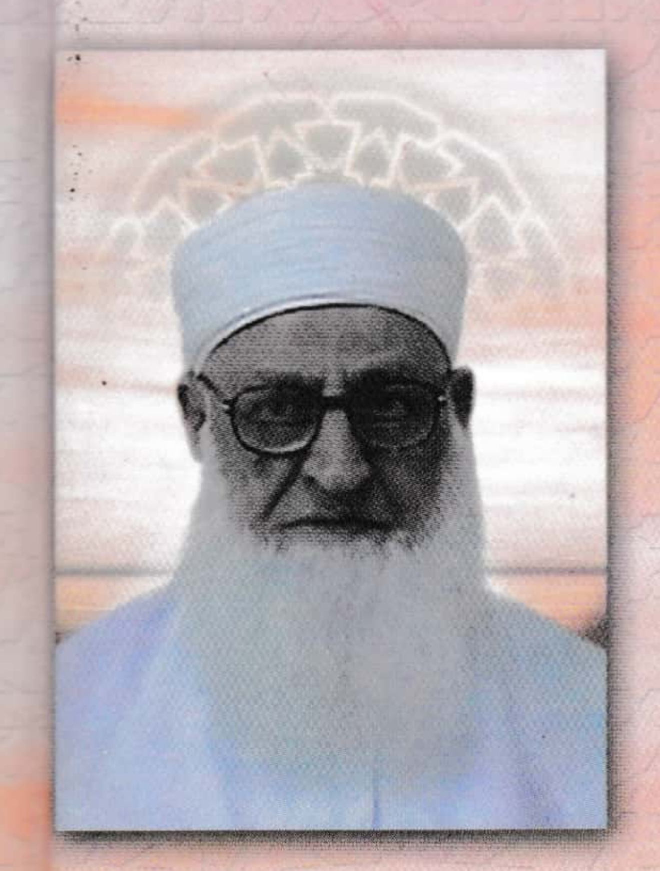
من كتب المؤلف

١- مناهج الدعوة وأساليبها.
٢- فقه الدعوة.
٣- النبي محمد ﷺ .
٤- السيرة النبوية والغزوات.
٥- فضل الخلفاء الراشدين والصحابة رضي اللّه عنهم وبحث في تمحيص أحداث الفتنة وتبرئة الصحابة عامة .
٦- العقيدة الإسلامية.
٧- أحكام الحج.
٨- ملخص في علم الفرائض.
٩- ملخص في علم النحو.
١٠- تفسير سورة الكهف.
١١- الدعوة في الكتاب والسنة.
١٢- نصوص دعوية من الكتاب والسنة.
١٣- علوم القرآن.
١٤- الحلال والحرام في البيع.
١٥- المذكرات الشخصية للشيخ محمد علي مشعل وملحق خاص بعلماء حمص.

العنوان:
الكويت ص ب ٩٥٧ السرة - الرمزي البريدي: ٤٥٧١٠
هاتف نقال: ٩٦٤٨١٧٦ / ٠٠٩٦٥ فاكس: ٥٣٥١٥٨٧/ ٠٠٩٦٥
website : www. mashal.ws
Email : mashal@mashal.ws
Email : bari6667@gmail.com
المراسلات باسم: الدكتور عبد الباري مشعل

المؤلف في سطور

- ولد في سورية – محافظة حمص – مواليد ١٩٢٤م.
- تخرج في مدرسة دار العلوم الشرعية بحمص، في عام ١٩٤٠م.
- وقبل تخرجه لبس العمامة على يد الدكتور مصطفى السباعي في حفل تتويج العمائم في الجامع الكبير بحمص.
- أنشأ ثانوية علي بن طالب، في عام ١٩٥٣م، وتعلم فيها أبناء المنطقة على اختلاف فئاتهم المذهبية.
- انتظم في كلية الشريعة بدمشق عند تأسيسها، وتخرج فيها في عام ١٩٦٠م.
- عضو جمعية العلماء في حمص منذ نهاية الخمسينات.
- مدرس عام في الجامع الكبير بحمص منذ عام ١٩٧٥م يومي الإثنين والخميس.
- درسه من أشهر الدروس في الجمهورية، والحضور لم يقل عن أربعة آلاف شخص غالباً.
- عضو الاتحاد القومي، في عام ١٩٥٨م في زمن الوحدة، وكان انضمامه برأي العلماء.
- نائب عن محافظة حمص في مجلس الشعب في عام ١٩٦١م، بعد الانفصال، وكان ترشح برأي العلماء.
- أستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المعهد العالي للدعوة، والمعهد العلمي في المدينة المنورة، منذ عام ١٩٧٩.
- مدرس في المسجد النبوي الشريف في بداية الثمانينات.
- داعية زائر خلال شهر رمضان في قطر والكويت والإمارات بدعوة من وزارات الأوقاف فيها.
- مستشار شرعي في مجموعة البركة، جمعية اقرأ الخيرية في جدة منذ عام ١٩٩٠.





النادي الشبابي



غراس
للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان
www.gheras.com